نشأة التدوين التاريخي عند العرب

تأليف

حسين نصار
ماجستير فى الآداب

ملتزمة النشر والطبع
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلي باشا ، بالقاهرة

نشأة التدوين التاريخي عند العرب

تأليف

حسين نصار

ماجستير فى الآداب

ملتزمة النشر والطبع

مكتبة النهضة المصرية

٩ شارع عدلى باشا بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

التـاريخ : تعريف الوقت ، والتوريخ مثله ، أرخ الـكتاب ليوم كذا : وقته ، والواو فيـه لغة . وزعم يعقوب أن الواو بدل من الهمزة [1] . وقد اختلف العلماء فى أصل هذا اللفظ ، فذهب بعضهم به إلى العربية الخالصة ، فقال : إن التاريخ مأخوذ من لفظ الأرخ ، بمعنى ولد البقرة الصغير ، لأنه يشبه الشيء الحادث كما يحدث الولد ، فهو حدث جديد [2] . وعزاه بعضهم الآخر إلى الفارسية ، فقال : إنه مأخوذ من «ماه روز» بمعنى «يوم الشهر» فعربوها وقالوا «مؤرخ» وجعلوا المصدر منها التاريخ [3] . وهو اشتقاق بعيد لا يظهر فيـه تقارب بين اللفظين العربى والفارسى . ويتصل هذا القول — دون شك — بالخبر القائل بأن المسلمين تأثروا بالفرس فى أخذهم تاريخ الهجرة تقويماً لهم ، إذ أشار الهرمزان الفارسى على عمر بن الخطاب بذلك [4] ولـكننا نرجح الرأى القائل بعربية الكلمة ، وإن كنا لا نشاركهم فى أنها مأخوذة من الأرخ ، وإنما هى كلمة عربية قديمة مشتركة فى اللغات السامية ، تلوح القرابة بينهـا وبين كلمة « ياريح » التى معناها « القمر » والتى معناها

---

(١) لسان العرب : مادة « أرخ » .

(٢) المصدر السابق .

(٣) البيرونى : الآثار الباقية ص ٢٩ ، والخوارزمى : مفاتيح العلوم ص ٧٩ .

(٤) نفس المرجعين .

أيضاً « الشهر » فى العبرية [١] . ومن المعروف أن الساميين كانوا يحددون شهورهم بالقمر لا بالشمس ، ولذلك كانوا يبنون تاريخهم على الليالى دون الأيام ، كما هو الحال فى التقويم الهجرى الآن . وعلى هذا الرأى نرى أن معنى كلمة «التاريخ» فى مبدء أمرها كان « تحديد الشهر » ثم اتسع فصار التوقيت العام ، أى تحديد عهد أى حادث من الحوادث . ولا زالت اللغة فى تطورها حتى شمل هذا اللفظ رواية الحادث نفسه من جهة وتحديده من جهة أخرى ، وكانت هذه الخطوة الأخيرة فى سبيل بزوغ كلمة التاريخ بالمعنى الاصطلاحى المعروف .

وأطلق لفظ التاريخ فى عهده الأخير على عدة معان متقاربة . فهو بمعنى التاريخ العام ، أى تسجيل أهم الحوادث كما يظهر فى تاريخ الطبرى قبل الإسلام والكتب الأخرى ؛ وهو بمعنى الحوليات ، أى تدوين الحوادث عاما فعاما مثل تاريخ الطبرى بعد الإسلام وتاريخ ابن الأثير وغيرهما ؛ وهو بمعنى تدوين الأخبار مرتبة بحسب العصور ، مثل سيرة معاوية وبنى أمية لعوانة ابن الحكم ؛ وهو بمعنى التراجم ، كما نرى فى كتاب « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » لابن القفطى ومعجم ابن خلكان وغيرهما وأطلق أيضاً على مصنفات تختلف عن المصنفات التاريخية اختلافا كبيراً ، مثل « تاريخ الهند » للبيرونى ، إذ هو أقرب إلى مصنفات البحوث العقلية منه إلى المصنفات التاريخية. ويعنى إلى جانب كل هذه المعانى ، المعنى اللغوى الأول ، أعنى تحديد بداية الأخبار الخاصة بعصر من العصور ، أو حساب الأزمان وحصرها ، أو تحديد زمن الحوادث تحديداً دقيقاً .

---

(١) جب : دائرة المعارف الاسلامية ، مادة « تاريخ » .

الفصل الأول

التدوين التاريخي

العصر الجاهلي :

إذا أجهدنا أنفسنا باحثين عن أى نوع من الكتابة التاريخية فى العصر الجاهلى، لم نكد نظفر بشىء ، حتى البلدان المتحضرة التى كنا نظن أنها تحرص على تسجيل حياتها ورقيها ، مثل اليمن والحيرة وغسان ، لم يصل إلينا منها كتب تاريخية أيضاً . وكان تاريخها نسياً منسياً لدى العرب ، سكانها أو غير سكانها ولذلك دخلت عليهم الأباطيل والخرافات عندما أرادوا الكتابة عنها بعد ظهور الإسلام ، وحلق بهم الخيال فى الأجواء ، حتى ما نستطيع أن نركن إلى حقيقة مما يقولون ، على الرغم من النقوش الموجودة حتى اليوم على الآثار الباقية فى اليمن وشمال بلاد الحجاز وجنوبى الشام ، مما يدل على جهل المؤرخين العرب بالخط الحميرى والخطوط الأخرى فى بلاد العرب القديمة . والشىء الوحيد الذى نسمع عنه هو تلك المدونات التاريخية ، المودعة فى أديار الحيرة وكنائسها والتى اطلع عليها الكلبى فيما بعد ، وإن كنا لا نعرف عنها شيئاً فيما عدا ذلك [1] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٢ : ٣٧ .

ولا يمكننا الركون كثيراً إلى الوثائق التى تروى فى كتب التاريخ الإسلامية عن هذا العصر ، وإنما نقابلها بالشك الشديد ، الذى تثيره فينا ظروف هذه الوثائق . ومثالها الواضح تلك الوثيقة التى يذكرها أبو حنيفة الدينورى فى تاريخه أن عمر بن إبراهيم من وفد أبرهة بن الصباح آخر ملوك اليمن أرسلها إلى الكرمانى حسب طلب الأخير[1] . وكانت هذه الوثيقة عبارة عن حلف عقد بين ربيعة واليمن أمام تبع بن ملكيكرب ، وعبارتها مسجوعة ، وفيها عدة إشارات إلى ضروب النسك الوثنى ، وإن كانت تبدأ بعبارة إسلامية تقول : « بسم الله العلى الأعظم ، الماجد المنعم » وتنتهى بذكر الله وشهادته على الحلف ، كما كان يفعل المسلمون ، إذ تقول : « وشهد الله الأجل ، الذى ما شاء فعل » . حين يقع نظر المرء على الرسالة يغمره الشك فيها من جميع الأنحاء .

الأيام :

ولكن العرب ـ على الرغم من كل ذلك ـ عرفت نوعا من التاريخ الشفهى ، فقد كانت القبائل تروى أيامها : حروبها وانتصاراتها ، لتفخر بها على القبائل الأخرى ، سواء كان ذلك شعراً خالصاً أو نثراً تتخلله الأشعار . ولم تكن الصلة واحدة دواماً بين الشعر والنثر فى الأخبار ، فأحياناً يكون النثر شرحا للقصيدة ، وأحياناً يكون الشعر مرتجلا على لسان أحد أبطال الخبر دون أن تربطه صلة بالخبر المنثور . وكان الشعر فى كلتا الحالتين هو الذى يحافظ على تناقل الخبر وانتشاره . فلما نسيت هذه الأشعار نسيت

---

(١) ابو حنيفة أحمد بن داود الدينورى : الأخبار الطوال ٣٥٢ .

الروايات القديمة ، وابتكرت أشعار جديدة للتنويه بمآثر القبيلة من أفعال مجيدة . وعلى الرغم من كل ذلك نستطيع أن نطمئن إليها بعض الاطمئنان ، إذ لابد أنها تقوم على أساس واقعى ، وإن اصطبغت بالتحيز والمغالاة .

الأنساب :

وكانت كل قبيلة تحفظ نسبها ، وتحفظه أبناءها ، لتظل نقية بعيدة عن الشوائب ، ولتستطيع أن تفخر به على القبائل الأخرى ، وسيكون لهذا الفرع من التاريخ مكانته بعد الإسلام .

وهكذا وجدت هذه القصص التاريخية المصبوغة بالخرافات والأساطير لدى القبائل ، وكانت كل قبيلة تعنى بما تعتبره تاريخها ، وترويه لأجيالها القادمة . ولكن عرب الشمال لم يصلوا بعد إلى تاريخ عام لهم يشمل كل قبائلهم ، إذ لم يكونوا قد أدركوا معنى الوطن ، ولم تكن الظروف قد وحدتهم فى أمة واحدة .

تاريخ الأمم المجاورة :

وعرف العرب بعض أخبار من جاورهم من الأمم ، مثل الفرس والرومان ، حتى ليقال إن النضر بن الحارث كان ينافس الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويدل عليه بمعارفه عن الفرس . ولكن ذلك التاريخ كان قصصاً وخرافات ، لا تختلف عن قصصهم وخرافاتهم عن عرب الجنوب والشمال فى أغلب الظن .

ظهور الإسلام :

بعد الإسلام انتشرت في المملكة الإسلامية في هذا العهد حركة تاريخية أخذت تتسع وتنتظم شيئاً فشيئاً حتى خلفت لنا ثروة أدبية من أغنى ثروات الأدب العربي . وكانت أهم العوامل التي بعثت تلك الحركة هي :

١ — احتاج المسلمون في تفسير الآيات القرآنية إلى معرفة مناسباتها ، أعني سبب نزولها ، والموضع الذي نزلت فيه ، والحادثة التي تشير إليها ، وما إلى ذلك مما يسمى ما حول النص . ومن الواضح أن معرفة هذه الأشياء تحتاج إلى بحث تاريخي في حوادث الإسلام . وهكذا كان التفسير من العوامل التي دعت إلى التدوين التاريخي .

وقد أكثر القرآن أيضاً من الإشارات إلى الأمم والقبائل والأنبياء في قصصه عن الغابرين ، فرغب علماء المسلمين في فهم هذه الإشارات وتوضيحها . وكان الإسلام قد أظل كثيراً من اليهود والنصارى . فلجأ إليهم المسلمون ليعرفوهم بتلك الإشارات . فأخذ هؤلاء يحدثونهم بقصص التوراة والإنجيل وشروحهما ، فربطها المسلمون بالتفسير والتاريخ ، واشتهرت هذه الأخبار في العلمين باسم « الإسرائيليات » . ويتمثل لنا ذلك في كعب الأحبار (المتوفى عام ٣٤ هـ) ووهب بن منبه (المتوفى عام ١١٠هـ) . ولا تزال آثاره في كتب التاريخ والتفسير التي وصلت إلينا .

٢ — كان الحديث أيضاً من عوامل تدوين التاريخ ، إذ عني المسلمون بجمع الأحاديث ليفسروا بها القرآن ، ويستنبطوا منها أحكام الدين . وكان من هذه الأحاديث جملة وافرة تتعلق بحياة النبي والصحابة ، فجمعت

فيما جمع ، وكانت أساس كتب السيرة والمغازى فيما بعد .

٣ — شعر بعض الخلفاء أنهم محتاجون إلى نبراس يهتدون بهديه فى سلوكهم ، إذ لم يكن لهم تراث عربى يقتدون به ، كما أنهم رأوا ممالك أجنبية بهرتهم حضارتها ، فأحبوا أن يعرفوا كيفية سياستها ونظامها . فقد كثرت المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية حتى هدمت نظام الخلافة وأقامت نظام الملك . وواجه العقل العربى ، الذى كان ساذجاً فى جاهليته ، مشكلات حقيقية ، منها ما يمس الدين والحضارة ، ومنها ما يمس الحياة العادية والاجتماعية فرأى ألا بد من الاستعانة بأخبار من سبقه ليستنير بها . روى المسعودى[1] عن معاوية أنه كان بعد أن يفرغ من عمله « يستمر إلى ثلث الليل فى أخبار العرب وأيامها ، والعجم وملوكها ، وسياستها لرعيتها ، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة ... ثم يدخل فينام ثلث الليل ، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها ، والحروب والمكايد ، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون ، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها . فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات » .

٤ — كان الأجانب الذين أظلهم الإسلام يفخرون على العرب بتاريخهم وحضارتهم ويروون لهم أفعالهم المجيدة فى ماضيهم . فاضطر العرب إلى ابتكار تاريخ لهم يستطيعون به الوقوف بإزاء هذا الفخر الأجنبى ، ويظهرون لأبنائهم وغيرهم من الأمم أنهم ، وإن كانوا حديثى عهد بالحضارة ، ليسوا

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ٢ : ٥٢ .

أقل من الأمم الأخرى مجداً ومكانة . وكان هذا من دواعى ظهور الكتابة التاريخية فى الأمة اليونانية أيضاً .

٥ — كان نظام الحكومة الإسلامية ، وخاصة النظام المالى ، من العوامل التى أدت إلى قيام الحركة التاريخية وانتشارها ، لأن الضرائب (الخراج) على البلدان المختلفة تتباين حسب فتحها صلحاً أو عنوة أو بعهد . وكانت المعاملة السياسية والاجتماعية نفسها تختلف فى بعض البلدان تبعاً لما حدث فى أثناء فتحها . فدعا كل ذلك ، والنظام المالى خاصة ، إلى بحث تاريخ الفتوح ، والاهتمام بهذا الفرع من التاريخ .

ودعا النظام المالى إلى نشوء فرع آخر من التاريخ ، وكان ذلك لأن نظام العطاء تغير منذ عهد عمر ، فصار بحسب الأسبقية إلى الإسلام ، أى أن الذين أسلموا فى أول الدعوة يأخذون من العطاء أكثر مما يأخذ من أسلم بعدهم ، ومن أسلم وهاجر يأخذ أكثر من المسلم بعد الهجرة ، ومن أسلم وشهد بدراً يأخذ أكثر مما يأخذ من لم يشهدها من الذين أسلموا بعدها ، وهلم جرا . وكان هذا النظام سبباً فى البحث الدقيق فى الدعوة الإسلامية وانتشارها . كما كان العطاء مرتباً أيضاً حسب الأنساب أى يبدأ بقرابة النبى صلى الله عليه وسلم الأقرب فالأقرب ، ثم قرابة أبى بكر ثم عمر .... وهكذا فى الأنصار وفى جميع المسلمين . ومن الواضح أن هذا النظام يدعو إلى البحث فى الأنساب ، وظهور هذا النوع من التاريخ ، وظهور كتب الطبقات أيضاً .

٦ — ابتدأت حركة التأليف فى العلوم الأخرى المعروفة بين العرب فى

ذلك الوقت ، حتى إننا نجد صحارا العبدى يؤلف كتاباً فى الأمثال. ثم يتطور الأمر بمرور الزمن ، فيقال : إن بعض كتب الكيمياء ترجمت فى عهد خالد ابن يزيد بن معاوية ، ويأمر عمر بن عبد العزيز بجمع الحديث ، وترجمة كتاب فى الطب . ويقول بعض الرواة إن عروة بن الزبير أحرق بعض كتب ألفها فى الفقه فى يوم الحرة [١] . كل هذه الحركة التأليفية تدل على أن العقل العربى كان يعانى تحولا خطيراً ، وأنه أخذ فى التمدن السريع ، والمشاركة فى التدوين والتأليف .

٧ — وآخر الأمر لا ننسى استمرار ما كان فى الجاهلية من عناية بالأنساب والأيام ، ازدادت فى العهد الإسلامى ، لأنها تغذى الشعراء فى ميدان الفخر والهجاء والنقائض التى شاعت فى هذا العصر ، وكان لها المقام الأول فى شعر الفحول . واتخذ هذا النوع من التاريخ لوناً جديداً أيضاً ، هو العناية بغزوات الرسول . فما كان ذلك النوع من التاريخ إلا استمرارا لما عهد عند الجاهليين إلا أن الإسلاميين دونوا والجاهليين حفظوا ورووا .

---

(١) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٧ : ١٨٣ .

الفصل الثانى

المؤرخون وكتبهم

الكتاب الأول :

اجتمعت العوامل السابقة فأشعلت الروح التاريخى فى المسلمين ، فأخذوا ينظرون فى هـذا الفن ، باحثين منقبين ، وشرعوا يروون الأخبار التى يستطيعون الوصول إليها . ولـكننا لا نلبث أن نرى هـذه الأخبار الشفوية تدون فى عهد معاوية فى رسائل صغيرة تسمى كتباً . وكان هذا تحولا خطيرا يبشر بما سيتلوه من تقدم ورقى فى الدراسة التاريخية . ولا ندرى بالتحقيق ما أول كتاب ظهر فى التاريخ عند العرب . ولـكن يتنازع الأسبقية زياد بن أبيه (المتوفى عام ٥٣ هـ) ودغفل النسابة البكرى (المتوفى عام ٦٠ هـ) ، وعبد الله بن عباس (المتوفى عام ٦٨ هـ) وعبيد بن شرية الجرهمى (المتوفى عام ٧٠ هـ تقريبا) .

زياد بن أبيه :

أما زياد بن أبيه فقد ألف كتابا فى مثالب العرب[1] . ولا يدهشنا ذلك

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٨٩ .

كثيرا ، إذ نعرف قصة نسب زياد ، واستلحاق معاوية إياه ، وكراهية المسلمين لذلك ، بل سخرية بعض الشعراء من هذا الاستلحاق . ولذلك أراد زياد أن يزود نفسه وأبناءه بسلاح يخيف به المتعرضين له، ويشعره بعدم نقصه، بل بنقص الآخرين فى هذه الناحية . ولذلك أرجح أنه كتاب فى الأنساب خاصة ، وأنه ألفه بعد استلحاق معاوية إياه ، وتعيير الناس له . ويؤسفنا أن هذا الكتاب فقد ، ولم يبق لنا منه شىء ، وإن كنا نرجح أن كتب الأنساب والشعوبيين المتأخرين أخذت عنه .

دغفل النسابة البكرى :

أما كتاب دغفل النسابة فمجالس وأسمار ، فى بلاط الخليفة معاوية بن أبى سفيان ، الذى كان محباً للمسامرة وأحاديث من مضى . ويسمى هذا الكتاب « التظافر والتناصر » . ويروى كتاب التحفة البهية ، والطرفة الشهية » (ص ٣٨) المجلس الثامن عشر منه فيقول : « ذكر فى كتاب التظافر والتناصر ، وهو مجالس دغفل النسابة البكرى عند معاوية ، وأنه سأله فى فى الثامن عشر من مجالسه ، فقال : « من أبلغ العرب فى ثنائه ؟ » فقال دغفل : « ذاك النابغة الذبيانى حين دخل على الحارث بن أبى شمر الغسانى يطلب إليه فى أسارى قومه ، فقال : « ألا أنعم صباحا أيها الملك المبارك ، السماء غطاؤك ، والأرض وطائك ، وولدى فداؤك ، والعرب وقاؤك ، والعجم حماؤك ، والحكمة وزرائك ، والعلماء جلساؤك ، والعقلاء إخوانك والعقل شعارك ، والحلم دثارك ، والسكينة مهادك ، والوقار غشاؤك ، والبر

وسادك ، والصدق رداؤك ، واليمن حذاؤك ، والسخاء ظهارتك ، والحياء بطانتك ، والعلاء غايتك ، وأكرم الأحباء أحباؤك ، وأشرف الأجداد أجدادك ، وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام أعمامك ، وأسرى الأخوال أخوالك ، وأعف النساء حلائلك ... » .

ونحن إذا بحثنا هذا القول ، ولم نذهب بدون تحقيق مع ابن النديم الذى ينص على أنه لم يصنف شيئا [١] ، لا نستطيع أن نأخذ هذا المجلس حقيقة لا شك فيها . فإننا نرى الكلام ملازما للسجع ، وفيه أشياء منافية لذلك العصر ، ولم نعتد العثور عليها فيه ، كما نرى فيه نزعة إسلامية تسير مع قول القائلين بالتبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره . ونحن إذا لم نشك فى هذه النبوءة ، فإننا نشك فى نبوءة النابغة بإسلام الحارث . وإنه لم يسلم فعلا ، وما أظن أنه كان يعد الإسلام فخراً له ، فى عصره ذلك . ولكن هذا المجلس على كل حال يبين لنا أن كتاب « التظافر والتناصر » ، إن كان وجد على الإطلاق ، كان يعالج التاريخ الأدبى ، ويبين مقدار عنايتهم بالسمر ، وأثر هذا السمر فى تجويد العبارة وتحسينها .

ابن عباس :

أما ابن عباس فقد نسب إليه بعض الرواة [٢] مدونات استقى منها من بعده من المؤرخين . ولا يذكرون أن ابن عباس جعل من هذه المدونات

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٨٩ .
(٢) ابن سعد الطبقات ٥ : ٢١٦ .

كتابا خاصا أعطاه اسما معينا . وهى فى غالب الظن بعض مجالسه التى كان يفسر فيها القرآن ، ويتعرض لمختلف المعارف العربية ، دونها أحد تلاميذه أو أبنائه . ونحن لا نستطيع أن نتكلم عنها أكثر من ذلك ، لأن ابن عباس من الذين حمل عليهم كثير من الأخبار فى كل فن .

عبيد بن شرية :

أنتجت مجالس معاويه الكتاب الرابع أيضاً ، إذ أشار عليه عمرو بن العاص ، لما رآه فيه من حب المسامرة والأخبار السالفة ، باستدعاء عبيد وسؤاله عن الأخبار المتقدمة ، فأحضره واتخذه سميراً له وأمر كتابه بتدوين أحاديثه ونسبتها إليه ، فدونت تحت عنوان « كتاب الملوك وأخبار الماضين » ، كما يقول صاحب الفهرست[1] . وقد طبع الجزء الذى وجد من الكتاب فى حيدر آباد باسم « أخبار عبيد بن شرية الجرهمى فى أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها » . ولا يزعجنا هذا الاختلاف كثيراً ، لأن عبيداً نفسه لم يدونه ، ولا عنونه ، وإنما دونه كتاب معاوية ، ونسبوه إليه دون عنونة ، كما يبدو ، ومن ثم اختلف النساخ فى عنوانه . ولا يبعد أن يكون لهذا الاختلاف أسباب أخرى غابت عنا . ويؤكد لنا العنوان نفسه أنه من وضع أناس غير عبيد ، إذ تقول النسخة المطبوعة « أخبار عبيد بن شرية الجرهمى فى أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها على الوفاء والكمال والحمد لله على كل حال » فتصريحه

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٨٩ .

باسم عبيد ، وقوله « على الوفاء والكمال » ، قد يشعران بأن هذه العبارة كلها من كتابة شخص آخر غير المؤلف .

وحين نقلب صفحة العنوان نرى الكتاب يبدأ بالبسملة والحمد ، ثم أسناد روايته « حدثنا عبيد بن شرية الجرهمى ، عن البرقى يرفع الحديث أن معاوية ... ». وإذن فالكتاب عن رواية البرقى ، وهو تلميذ لمحمد بن هشام وإذن فالمستر كرنكو F.krenhow له دعامته التى يتكئ عليها حين يستنتج من ذلك أن جامع الكتاب هو ابن هشام ، وأن القائل « عن البرقى » أحد تلامذته . ولسنا نستبعد ذلك ، ولكنا نحب أن نتصفح الكتاب قبل الإدلاء برأينا .

يقدم الكاتب بين يدى الكتاب بمقدمة يشرح فيها ولاية معاوية وخلافته وحبه للسمر ، وإشارة عمرو باستدعاء عبيد ، وكبر سنه ، وعلمه ، وسمره ، وسيطرته على قلب معاوية ، وأمر الأخير بتدوين أقواله .

ويتناول عبيد فى هذا الكتاب تاريخ موطنه اليمن ، بادئا باجتماع البشر فى بابل ، ثم تفرقهم شيعا ، وخروج بعض بنى سام إلى اليمن . ثم يأخذ فى سرد تاريخ هؤلاء اليميين ، معتنيا بما أرسل إليهم من أنبياء ، وإن كان همه كله موجهاً لملوكهم وغزواتهم فى بطون الأرض .

وينتهى الجزء الذى وصل إلينا بمقتل طسم وماقيل فيها من شعر . ويصرح الناسخ بأن الكتاب قد تم ، ولكنه يعنى أنه كتب النسخة التى أمامه كلها فحسب ، إذ الكتاب لم يتم ، بل لم تكمل أخبار طسم نفسها ، ولعل مما

يؤيدنا فى ذلك أننا كنا ننتظر من كتبة معاوية إشارة إلى ما حدث لعبيد فى نهاية مجالس سمره .

وأول مايلاحظ على الكتاب أنه ليس كتابا تاريخياً بالمعنى المصطلح عليه ، وإنما هو مجالس سمر تاريخية مدونة ، ولذلك يغلب عليه ما يغلب على تلك المجالس من خصائص . فنرى الأسلوب الحوارى يشيع فيه[١] :

قال معاوية : وما كان اللسان يومئذ ؟

قال عبيد : سريانى أوله وآخره ، وهو لسان أبينا آدم عليه السلام ونوح وإدريس .

قال معاوية : كيف اختصت أرض بابل باجتماع الناس فيها ؟

قال عبيد : هى سرة الأرض فى فضلها ، وأراد الله ذلك بها .

ولكن الأمر الجميل الذى نحسبه لمعاوية أو لكاتبه ، أنه كان لايتدخل بالأسئلة فى بعض الفصول ، ولذلك نراها تجرى دون أية مقاطعة ، أو مقاطعة لا تكاد تذكر . ومما يتصل بهذا ويحسب للكاتب أنه لم يفصل بين المجالس المختلفة ، فاكتسب الكتاب ميزة حسنة ، وهى الاتساق وعدم التقطع ، كما نرى فى مجالس قصص ألف ليلة وليلة مثلا . ولكننا خسرنا ميزة أخرى ، هى عدم معرفتنا القدر الذى كان يقصه عبيد على معاوية ، والمدة التى قضاها الاثنان فى سمرهما . ومما يتصل بهذا أيضاً ، أننا لانرى أحداً من جلساء معاوية يظهر فى الكتاب مسائلا أو مجيباً ، إلا مرتين فى صدر الكتاب[٢] .

---

(١) ص ٣١٦ .   (٢) ٣١٣ ، ٣١٤ .

ونحن نذكر تلك المجالس الأدبية التى كانت تعقد فى بلاط الأمويين وخاصة معاوية وعبد الملك ، وكانت من الأسباب التى طورت الأدب والنقد الأدبى ، ونذكر أيضا عناية هذه المجالس بالشعر . إذا كنا نذكر ذلك ، فإننا لن ندهش حين نرى عبيدا يعنى عناية شديدة بالشعر ، ونرى معاوية — على الرغم من هذه العناية الشديدة — يلتمس منه الأشعار ، فيقول[١] : « وسألتك ألا تمر بشعر تحفظه فيما قاله أحد إلا ذكرته » ، ويقول[٢] : « فحدثنى عن لقمان بن عاد صاحب النسور .... وما قيل فى ذلك من الشعر » ، ويقول : بعد أن يسرد عبيد بعض الأخبار[٣] : « فهل قيل فى ذلك شعر ؟ » . وكان معاوية يطلب منه الشعر للمسامرة ، ولسبب آخر غيرها ، إذ كان يعتبر الشعر الدليل على صدق الخبر ، يقول[٤]: «وأبيك ، لقد أتيت وذكرت عجبا من حديثك عن عاد ، وقد علمت أن الشعر ديوان العرب ، والدليل على أحاديثها وأفعالها ، والحاكم بينهم فى الجاهلية ، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن من الشعر لحكما ...» . ويقول[٥]: « سألتك ألا شددت حديثك ببعض ماقالوا من الشعر ، ولو ثلاثة أبيات » . وكثيراً ما كان يقول لعبيد بعد أن يذكر ما طلب من الشعر[٦] : « لقد جئت بالبرهان فى حديثك » .

والشعر الذى جاء به عبيد يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام: قسم ضعيف سخيف ..

(١) ٣١٤ .   (٢) ٣٥٦ .

(٣) ٤٠٨ و ٤٠٩ و ٤٢٣ ، وغيرها .   (٤) ٣٥٢ .

(٥) ٣١٨ .   (٦) ٣٣٠ و ٣٤٩ و ٤٠٠ ، وغيرها .

ركيك ، ليس من الشعر الحق فى شئ ، وهو موضوع على من نسب إليهم ، وهو الغالب على الكتاب . ومن أمثلته ماينسب لطسم بن لاوذ بن إرم حين انتقل من بابل إلى بلاد العرب[1] :

إنى أنا طسم شبيه سام ووالدى لاوذ بن رام
لما رأيت من بنى أعمامى وإخوتى الرحيل باعتزام
قد اقتدوا بيعرب الهمام كرهت بعد إخوتى مقامى

وقسم آخر أجود من السابق ، ولكنه من الموضوعات أيضا . ومن أمثلته ماينسب لتبع[2] :

سيذكر قومى بعد موتى وقائعى وما فعلت قومى بقيس أفاعلا
فكم من ملوك قد قتلنا رجالهم وكم من نساء قد تركنا ثواكلا
وكم من أسير ظل فى القيد ساقه يبيت يراعى غله والسلاسلا
سيذكر قومى نجدتى ومكارمى ويدخل باب العز من كان جاهلا
بنيت لهم مجداً مع النجم سمكه وصيرته للعالمين معاقلا

أما القسم الثالث فأشعار تنسب إلى شعراء معروفين ، مثل العباس بن مرداس ، وأعشى بنى وائل ، وحسان بن ثابت ، وأمية بن أبى الصلت ، وامرئ القيس ، وعبيد بن الأبرص ، والنابغة الذبيانى[3] . وقد وجدت

---

(١) ٣١٩ . (٢) ٤٠٠ .

(٣) ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٧ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٤٠٥ .

أكثر هذه الأشعار فى دواوين أصحابها ، وإن كانت قد تختلف فى بعض الألفاظ أو العبارات .

وهناك ظاهرة جديرة بالتسجيل فى عداد حسنات عبيد ، إذ نراه يعنى فى بعض الأحيان بإيراد جملة من الأشعار بعد سرده الأخبار التى يعالجها ، كما فعل بعد تناوله أخبار عاد وثمود . وكان عبيد يشعر بأن هذا هو النهج الأكمل . قال له معاوية ذات مرة[1] : « أقيل فى ذلك شعر ؟ » فى أثناء كلامه ، فقال : « نعم ، يامعاوية ، قدقالت العرب فى ذلك أشعاراً ، فإن أحببت أنشدتكها ، وإن شئت فى آخر الحديث ، فإنه أصلح لحديثك » . فقال معاوية : « سمعنيها فى آخر الحديث ، فهو أحسن » .

ومن أجل السمر أيضاً عنى عبيد ببعض القطع النثرية وجودها وهذبها ، حتى لتلمت النظر من بين باقى الأخبار ، وصارت شبيهة بما يسمى فى الأدب الغربى « القطع الأرجوانية » يعنون بذلك الفقرات التى تلقى العناية التامة على حين يهمل ماحولها من كلام . وتظهر هذه الفقرات أوضح ظهورها فى بعض الأحاديث التى ينسبها عبيد لأبطال تاريخه ، وفى بعض أوصافه للأجناس . فها هى ذى جارية من عاد تقول حين رأت ريح العقوبة[2] : « الويل لعاد ، التى طغت فى البلاد ، فأكثر فيها الفساد . أرى رياحاً كأمثال الجبال ، لها لجم بأيدى رجال ، كأن فى وجوههم شهب النار » . وهذان رجل وامرأته يتخاصمان أمام عمليق فى ابنهما ، قالت[3] : « إنى امرأة

---

(١) ٣٣٥ .　　(٢) ٣٣٦ .

(٣) ٤٨٣ .

حملته تسعا ، وأرضعته سبعا ، ولم أر منه نفعا ، حتى إذا تمت أوصاله ، واستوى وصاله ، أراد أن يأخذه كرها ، ويتركنى ورها » . فقال زوجها : « أخذت المهر كاملا ، ولم أصب منها طائلا ، إلا وليداً جاهلا ، فافعل ما كنت فاعلا » .

والكاتب فى هذه الفقرات لايعرف من التجويد والزخرف غير السجع، بل إنه لسجع ضعيف غير جميل فى الغالب . ولا أدرى أذلك من التحريف الذى أصاب الكتاب أم من الكاتب نفسه . أماالأسلوب الغالب على الكتاب فبسيط عادى صريح عاطل عن كل الحلى .

وظهرت فى الكتاب خاصة أخرى تظهر فى المسامرات ، تلك هى الاستطراد ، فكثيرا ما كان يذكر عبيد عرضا فى أثناء حديثه بعض الأشياء أو الأشخاص ، فيسأله معاوية عنهم ، فيضطر إلى الخروج إليهم ، ثم يرجع إلى السياق الأصلى . وكان معاوية يشير عليه أحيانا بالرجوع إلى السياق قائلا : « خذ فى حديثك[1] » أو « خذ فى حديثك الأول[2] » أو « دع هذا وخذ فى حديثك الأول[3] » . وكان معاوية يستعجل أحيانا بعض الحوادث ، فيشير عليه عبيد بالتمهل[4] .

وكانت مجالس معاوية هذه استمرارا لمجالس السمر الجاهلية ، ولذلك نرى موضوعات عبيد تغلب عليها الصيغة التى كانت تغلب على تلك المجالس . غلب على أخباره الخيال البدائى المبالغ بل المغرق فى المبالغة ، وخرجت أخباره

---

(١) ٣٣٧ ، ٣٦٥ ، ٤٠٠ ، وغيرها . (٢) ٤٠٠ ، ٤٠٨ .
(٣) ٤٥١ . (٤) ٤١٣ .

قصصاً وخرافات وأساطير ، عن ملوك اليمن ، لا تختلف فى شىء عما كان فى الجاهلية ، فى غالب الظن . بل يمكننا أن نعتبر كتابه تدوينا للقصص التاريخية التى كانت شائعة فى الجاهلية ، وخاصة فى جنوب بلاد العرب . وهى قصص تاريخية ، لا أخبار تاريخية ، فلا نستطيع أن نخرج منها بأخبار تاريخية علمية ، وإنما نظفر بأدب شعبى خيالى . ومما يكمل صورتها ، ويقرب بينها وبين الجاهلية ، تلك الأنساب التى تشيع فيها ، حتى قلما يظهر شخص ، دون أن تورد سلسلة نسبه ، حقا كانت أو باطلة . وإذن نحن لا نبعد كثيرا عن الصواب ، إذا أعددنا كتاب عبيد مدونة تحوى الأخبار التاريخية ، معالجة كما كان يعالجها الجاهليون ، ولا تختلف عنهم إلا فى اعتمادها على القرآن فى قصص الأنبياء والشعوب التى تعرض لهذا القرآن . ولعله كان يضيق بالأخبار التى تناولها القرآن ، لأنه لا يستطيع أن يتصرف فيها ، أو يترك لخياله الحرية فى تناولها ، أو يرويها كما وصلته عن الجاهليين ، حتى ليقول لمعاوية حين سأله عن بلقيس والهدهد[1] : « قول الله أصدق ، وقد أعلمتك لست بمحدث بشىء ليس فى القرآن ، ولست بواصف خبراً بلغنى بعد ما قال الله تبارك وتعالى » . واعتمد عبيد فى القصص القرآنية على ابن عباس كثيراً ، فكان يقول لمعاوية : « سمعت ابن عمك[2] » قاصداً عبد الله ، وكان يصرح باسمه أحيانا[3] .

---

(١) ٤٢٤ .

(٢) ٣٢٧ .

(٣) ٣٢٦ ، ٣٣٦ ، ٣٦٥ ، ٤١٥ ، وغيرها .

وكتاب عبيد ذو أهمية كبيرة ، لا فى تطور حركة التأليف التاريخى فحسب ، وإنما لأنه يكشف لنا النقاب عن الثقافات التى كان يعرفها العرب فى الصدر الأول من الإسلام ، وربما التى كان يعرفها العرب فى الجاهلية ، وخاصة فى اليمن . وأوضح ما نجد الثقافة الإسرائيلية التى تظهر بارزة فى الكتاب كله . يظهر هذا فى الأخبار والأشخاص والأنساب والأسماء وغيرها ، بل نراه أحيانا يذكر اسم أحد الأشخاص ، ثم يورد اسمه فى العبرية أو السريانية فأبو إبراهيم آزر واسمه تارخ[١] ، وعابر هو هود[٢] .

هذا هو كتاب « أخبار عبيد بن شرية » ، ملحمة من أجمل الملاحم العربية النثرية التى تتناول تاريخ العرب الجنوبيين ، يلعب فيها الخيال دوراً كبيراً ، ويحليها الشعر والقطع النثرية الأرجوانية ، والقصص الإسرائيلية المأخوذة من التوراة وأخبار الإسرائيليين ، ملحمة تشبه الملاحم التى ستظهر فى العصور الإسلامية المتأخرة من أمثال ملاحم عنترة والظاهر بيبرس والأميرة ذات الهمة . ولكنها تمتاز عنها بسمو أسلوبها ، وفصاحته العربية . ولعلنا لا نشتط كثيرا حين نقارنها بشاهنامة الفردوسى الشعرية التى تتناول تاريخ الفرس منذ أقدم العصور ، حتى الفتح الإسلامى . ويؤسفنا كل الأسف ضياع الجزء الأخير منها .

وفى ختام الكلام عن أخبار عبيد نذكر أمراً كبير الأهمية ، ذلك هو دخول بعض العناصر الغريبة فيه . فهذا خبر يصدر بالإسناد التالى[٣] : وذكر

---

(١) ٣١٥ . (٢) ٣١٣ ، ٣١٥ . (٣) ٣٥٠ .

بعض أصحاب السير عن عبيد بن شرية بأمر هود ، قال أخبرنى البخترى عن محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن أبى سعيد الخزاعى عن أبى الطفيل عامر بن واثلة الكنانى عن على بن أبى طالب صلوات الله عليه . . . وليس هذا بإسناد الكتاب ، والخبر ليس منه ، حتى ليقول بعد الخبر : رجع الحديث إلى عبيد بن شرية ومعاوية . ويعلق الناشر على هذا الخبر قائلا : « لعل هذه العبارة كانت حاشية فأدمجها بعض النساخ فى الأصل ، ومع ذلك فهذا عبيد ابن شرية ليس له دخل فى هذه القصة » . ولكنه ليس خبراً واحدا ، وإنما هى أخبار كثيرة من رواية محمد بن إسحاق وغيره ، مثل وهب بن منبه[1] . ونحن لا نظن أن هذه الأخبار حواش ، وأدخلها النساخ فى الكتاب ، فإننا لا نستطيع أن نقول ذلك عن الخبر الآتى[2] : ذكر عبيد أن شمر يرعش بنى نصبا فى السغد وكتب عليه « من بلغ هذا المكان فهو مثلى ، ومن جاوزه فهو أفضل منى » ، ثم قال عبيد : « وأنا أرجو أن يظهر الله أمير المؤمنين بذلك الموضع من الأرض ، فيعلم أنى قد أديت إليه من حديثى علماً » قال معاوية : « اللهم أرنا تصديق قول ابن شرية ، فإنه يذكر عجبا ، وإن شاء ربى فعل ذلك » . فبلغنى عن الشعبى أنه ذكر عن رجل من خيوان همدان يقال له عبد الله ، قال : « بينما نحن بالسغد مع قتيبة بن مسلم الباهلى ، وافتتح سمرقند إذ نظر إلى حجر ملصق على الباب فيه خطوط كأنها بالعربية وليست بها . . .

---

(١) ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ .

(٢) ٤٣٠ .

قرأه على مثل ماذكره عبيد لمعاوية ، ورواه عنه من رواه » . فهذا الخبر ليس من رواية عبيد ، ولا ندرى منه من الذى يرويه عن الشعبى . ولكننا نجد الخبر نفسه فى كتاب التيجان لوهب بن منبه مرويا عن ابن هشام [١] : « قال أبو محمد [بن هشام] حدثنى عامر بن جرهم الأنصارى ، عن مكحول عن الشعبى ، قال : « حدثنى رجل من خيوان همدان ... » إذن فهذا الخبر ليس من رواية عبيد ، بل حدث بعد موته ، وهو من صلب الكتاب ، ولا يظهر عليه أنه مقحم فى هذا الموضع ، وكذلك نرى بعض الأسماء والأنساب والأشعار تختلف روايتها باختلاف المواضع ، حتى أكثر الناشر من الإشارة إلى ذلك [٢]، مما يجعلنا نظن أن هذه الاختلافات ترجع إلى رواة مختلفين ، لا عبيد وحده . وهناك أخبار أخرى منسوبة لعبيد ، ولكننا لا نستطيع أن نصدق أنه يتفوه بها أمام معاوية . يقول [٣] : وبلغنى أن أولاد بربر بن كنعان بن كوثر بن حام الذين يزحفون لرجل من ولد فاطمة حتى يردوه إلى مكة ، وهو صاحب العدل فى آخر الزمان ، وأصحابه يقال لهم : الغرباء » . قال له معاوية : « قلت الصواب إن شاء الله ، وإن كلامك طيب وشفاء لما فى الصدور » . ولا شك أن هذا الكلام لا يمكن أن يصدر عن عبيد أمام معاوية . أما تعليق معاوية على كلامه فلا يحتاج إلى إنكار من أحد فإنه أوهى مما يحتاج إليه الإنكار . وينسب إلى عبيد أنه قال [٤] : « وقد ذكرناها فى كتابنا هذا » . وهذه العبارة كبيرة الأهمية ، لأنها تدل على أن

---

(١) وهب بن منبه : التيجان ٢٣٧

(٢) ٤٠١، ٤٠٧، ٤١٠، ٤١١ وغيرها.

(٣) ٣٢٣ .

(٤) مجلة الثقافة الإسلامية عام ١٩٢٧

القائل كان يتصور هذه الأخبار كتابا لا مجالس سمر ، مما قد نستنتج منه أن الكتاب لم يكن مجالس حقيقية ، وإنما مؤلف على صورة المجالس . لو أضفنا كل هذا إلى مالاحظناه على العنوان والمقدمة ، لخرجنا بأن الكتاب من جمع ابن هشام ، وأنه عمل فيه ما عمل فى سيرة ابن إسحاق ، أو أنه دخلته عناصر غريبة كثيرة ، بعضها مصرح بنسبتها ، وبعضها غير مصرح .

ولكن الأستاذ كرنكو يذهب إلى أبعد من ذلك ، فيصرح بأن عبيد ابن شرية شخص خيالى لا وجود له ، وأن الكتاب من تأليف ابن هشام أوالبرقى أو محمد بن إسحاق ، مكملا به المؤلف ماينقص كتاب وهب بن منبه من أخبار . ويستدل على ذلك بتلك الأخبار التى سميناها غريبة عن الكتاب وغيرها من الأدلة ، ومنها عدم ورود ذكر لعبيد فى كتب الرجال . ونحن لا نستطيع أن نذهب معه إلى هذا الحد ، كما لا نستطيع أن نرفض رأيه يقيناً فعدم ورود اسم عبيد فى كتب المحدثين دليل على أنه لم يرو الحديث ، وليس بدليل على عدم وجوده . ولعل هذا الرأى غريب ، لأنه كان من المنتظر من رجل مثل عبيد ، عنى بالتاريخ الجاهلى ، أن يعنى كذلك بالتاريخ الإسلامى فيؤدى ذلك بالمحدثين إلى الكلام عنه ، ولو فى باب الضعفاء من المحدثين ، كما أننا لو قلبنا صفحات كتاب المعمرين[1] نجد القصة التى يروون أنها جرت بينه وبين معاوية ، تروى بأشكال مختلفة ، ولكن متقاربة ، على أنها حدثت لأفراد آخرين غيره من المعمرين . فهذه الدلائل تغرينا على السير إلى جانب كرنكو . ولكن الأمر اليقينى الذى لا يخامرنا فيه شك ، أن الكتاب ، بهذه الصورة الراهنة ، ليس من تأليف عبيد بن شرية .

---

(١) أبوحاتم السجستانى : كتاب المعمرين ٧ ، ٨٣ ، ٦٧ ، ٨٧ .

وهذه فقرة من الكتاب تبين لنا أسلوب عبيد ، قال [1] :

«قال معاوية : « فمن ملك بعده [بعد ذى القرنين] »؟.

قال : « ملك بعده ملكيكرب بن أسعد بن تبع الأكبر بعد أبيه ، وكان رجلا ضعيفاً ، لم يكن يغزو أحداً حتى مات ولم يبعث جيشاً . فأما أهل اليمن فيزعمون أنه كان يتحرج من الدماء . وأما أهل الرأى والمعرفة والبصر بالأمور فإنهم يقولون : لم يكن ذلك منه إلا عن قلة التجربة وقلة الأنفة وصغر الهمة ، لأنه لم يحدث دعوة فى ملكه ، ولم يعبر عن دين ولا طريقة أحد ممن قبله .

قال معاوية : « وما تعبير حال الملك » ؟

قال عبيد : « يا أمير المؤمنين ، لم يكن يغير من شىء يفعله آباؤه ، ولا زال شيئاً من جبروت الملك ولا أحدث تواضعاً ، ولا قربا من الناس ، ولا زال عن تجبره وعتوه ، وأشد أمره باليمن لا يجاوز أرض اليمن إلى غيرها بلد عرب أو عجم » .

قال معاوية : « فكيف ملكهم يا عبيد ، وكيف استقام لهم أمرهم على تلك الحال ؟ »

قال عبيد : « لأنهم أحبوا الدعة والسكون ، وكانوا قد ملوا الغزو والحروب ، وكثرة المسير فى البلدان .

قال معاوية : « فكم ملكهم على هذا المنوال ؟ »

---

(١) ٤٣٩ .

قال : « ملكهم خمساً وثمانين سنة » .

قال معاوية : « فمن ملك بعده ؟ » .

قال عبيد : « ملك ابنه تبع أسعد بن ملكيرب .... » .

هذه هى الكتب التى ترجح بينها الرأى فى اختيار الكتاب الأول فى الظهور، ثم ظهرت كتب السير والمغازى التى تتناول حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بالدرس . وقد رأينا أن من عوامل ظهور هذه الدراسة جمع الأحاديث ، سواء ما تناول الناحية الفقهية أو ما تناول الناحية التاريخية من حياته ، بدافع من الرغبة الدينية . وكذلك كان العرب ينظرون إلى النبى نظرتهم إلى بطل من الأبطال وحدهم وهيأهم لفتح الأمم ، فعنوا بتاريخه كما عنوا بتاريخ أبطالهم فى الجاهلية . ولا ننسى مع ذلك أنهم أرادوا أن يضعوا الرسول صلى الله عليه وسلم بإزاء موسى وعيسى اللذين يفخر بهما أهل الكتاب ، وألفوا عنهما الكتب ، وأحاطوهما بالقصص الصحيحة وغير الصحيحة . كل أولئك وغيره اجتمع فأثمر كتب المغازى والسير ، التى تعتبر بداية التأليف العلمى فى التاريخ لأنها كانت تستند إلى الأحاديث التى كان يراعى فيها الدقة إلى أبعد غاية ، فأسبغت الأحاديث دقتها على التاريخ . ولذلك نشعر للوهلة الأولى بأنا نستند إلى أساس علمى وثيق حتى لو سلمنا فى نفس الوقت بشىء من الشك فى بعض الأحاديث التى تناولت العهد المكى خاصة من حياة الرسول . وقد ترك هذ الارتباط بالأحاديث أثراً لايمحى فى أسلوب التأليف التاريخى ، إذ كثرت مواطن التشابه بين النوعين . وكانت المدينة موطن هذه الدراسة ، فلم يختص أحد بالتأليف فى المغازى والسير قبل القرن الثانى من الهجرة خارجها .

أبان بن عثمان

أول من اشتهر بالتأليف فى المغازى أبان بن عثمان بن عفان المتوفى عام ١٠٥ ﻫ أو قبله. وكان أبان من علماء الحديث والفقه أيضا . يقول ابن سعد فى حديثه عن المغيرة بن عبد الرحمن(١): « وكان ثقة قليل الحديث ، إلا مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخذها من أبان بن عثمان ، فكان كثيراً ما تقرأ عليه ويأمرنا بتعليمها » . وكان المغيرة هذا فى جيش مسلمة ابن عبد الملك الذى توجه لحرب الروم عام ٩٦ هجرية ، واسترجعه عمر بن عبد العزيز فى عام ٩٩ ﻫ (٢) . ولذلك لا يمكن للمغيرة أن يأخذ المغازى إلا عن أبان بن الخليفة عثمان ، وليس عن أبان بن عثمان البجلى الشيعى الذى عاش بعد ذلك التاريخ بجيل أو اثنين(٣) .

ويبدو أن هذه المغازى التى رواها المغيرة عن أبان ليست كتاباً بالمعنى الدقيق ، وإنما هى مجموعة من المواد المتعلقة بحياة النبى . ويظهر أن هذه الأخبار ضاعت ، ولم يأخذ عنها أحد من كتاب السير المتأخرين . فلا يأخذ عنه ابن إسحاق ولا الواقدى ولا ابن سعد (فى الجزء المخصص للسيرة من طبقاته) . أما خبر أسر العباس وبعض بنى هاشم الذى يرويه ابن سعد (٤) عن أبان ، عن معاوية بن عمار ، عن جعفر بن محمد (المتوفى عام ١٤٨ ﻫ)

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٥ :١٥٦.

(٢) تاريخ الطبرى ٢:١٣٠٥،١٣٤٦.

(٣) هوروفتس: المغازى الأولى ومؤلفوها ، ترجمة المؤلف .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٤ : ٢٩ القسم الأول .

فإنه يتضح من الإسناد أنه لا يقصد أباننا هذا وإنما أبان البجلى الشيعى .

ولكن ابن سعد يذكر أبان بن الخليفة عثمان خارج السيرة حين يورد الكلمات الأخيرة التى تفوه بها عمر بن الخطاب عند وفاته . وقد سمعها أبان من والده [١] . ويذكره ابن قتيبة أيضا فى الشعر والشعراء[٢] على أنه راوى الخبر القائل بأن معاوية اشترى البردة التى أعطاها النبى لكعب بن زهير ، مكافأة له عن قصيدته :

بانت سعاد ...

وأن الحكام كانوا يلبسونها فى الأعياد . وفيما عدا ذلك لايوجد لأبان ذكر فى كتب التاريخ ، وإن كانت كتب الحديث تكثر من ذكره .

وهاك الخبر الذى أورده ابن سعد من رواية أبان :

« عن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان ، عن أبيه ، عن عثمان بن عفان ، قال : أنا آخركم عهداً بعمر ، دخلت عليه ورأسه فى حجر ابنه عبد الله بن عمر ، فقال له : ضع خدى بالأرض . قال : فهل فخذى والأرض إلا سواء ؟ قال : ضع خدى بالأرض لا أم لك ، فى الثانية أو فى الثالثة . ثم شبك بين رجليه ، فسمعته يقول : ويلى وويل أمى إن لم يغفر الله لى ، حتى فاضت روحه .

قال : أخبرنا قبيصة بن عقبة ، قال : (نا) سفيان ، عن عاصم بن عبيدالله

(١) ابن سعد الطبقات ٣ : ٢٦٢ القسم الأول .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١٠٦ .

قال : حدثنى أبان بن عثمان ، عن عثمان ، قال : آخر كلمة قالها عمر حتى قضى : ويلى وويل أمى إن لم يغفر الله لى ، ويلى وويل أمى إن لم يغفر الله لى ، ويلى وويل أمى إن لم يغفر الله لى » .

عروة بن الزبير

عروة بن الزبير المتوفى عام ٩٤ هـ من معاصرى أبان الذين ألفوا فى التاريخ . ولم يقتصر عروة على الرواية الشفوية ، بل دون بعض الأحداث التى طلبها منه عبد الملك بن مروان ، أو ابن أبى هنيدية . الذى كان فى بلاط الوليد ، فى رسائل بعثها إليهما . وقد وصل إلينا بعض هـذه الرسائل فى صفحات ابن إسحاق ، والواقدى ، والطبرى .

تتناول رسالة عروة الأولى إلى عبد الملك هجرة الحبشة [١]، وتتناول الثانية موقعة بدر [٢] ، والثالثة تتناول فتح مكة [٣] . وتناول عروة أيضا وفاة خديجة وهجرة النبي والصحابة إلى المدينة ، وخبر زواج النبي من أخت الأشعث بن قيس ، وقد روى هذه الأخبار ابنه هشام . أما الرسالة الأخرى لابن أبى هنيدة فرواها الزهرى وتتناول المناسبة التاريخية للآية العاشرة من السورة الستين [٤] .

وتمثل كتابات عروة المشار إليها أقدم المدونات التى وصلت إلينا عن

---

(١) تاريخ الطبرى : ١ : ١١٨٠ .

(٢) نفس المرجع ١٢٨٤ .

(٣) نفس المرجع ١٦٣٤ .

(٤) ابن هشام : السيرة ٣ : ٣٤٠ . والطبرى : التفسير ٨ : ٤٢ .

بعض الحوادث الخاصة فى حياة النبى ، كما تمثل أقدم آثار الكتابة التاريخية العربية . ولاتذكر المراجع القديمة أى كتاب ألفه عروة عن المغازى ، ولكن حاجى خليفة يقول : إنه أول من صنف فى المغازى[١] . ولم يعن عروة بجمع الأخبار عن جميع حياة النبى فحسب ، بل عنى أيضا بحوادث الخلفاء الأولين أيضاً ، فتراه يعالج وقعه القادسية واليرموك وبعض حوادث فتوح الشام[٢] . ويعنى عروة أيضاً بتاريخ الزبيريين ولذلك نرى جميع أخبار الحزب الزبيرى وحروبه وفتنه مروية عنه فى الكتب التاريخية مثل الطبرى وحلية الأولياء أو الكتب الأدبية مثل الأغانى[٣] .

وتمتاز كتابات عروة بأنها لا تهمل الإسناد إهمالا تاماً ، كما أنها لا تعنى به عناية متشددة ، فهو أحياناً لا يذكره وأحياناً يذكره . ولذلك يكون من الخطأ أن نتهم عروة بتهمة إغفال الأسانيد ، وإنما نقول إن الأسناد أصبح عادة فى ذلك الوقت ، ولكنه لم يصبح ضربة لازب على كل مؤلف فى التاريخ . وتمتاز كتاباته أيضا بأنها تعنى بالإشارات القرآنية إلى الحوادث الإسلامية ، فتحاول شرحها . كما أشرنا قبل ، بل إنه يتجاوز ذلك إلى استعمال الألفاظ القرآنية كتاباته ، لتشير إلى مدلولها القرآنى مثل استعماله لكلمة الفتنة فى حديثه عن الهجرتين الحبشية والمدنية متبعاً الآية الأربعين من السورة الثامنة . ولا يعنى عروة بالأحاديث وحدها ، وإنما يعنى أيضا بالوثائق المكتوبة مثل رسالة النبى إلى أهل هجر ، وإلى زرعة بن ذى يزن ،

---

(١) كشف الظنون ٥ : ٦٤٦ .

(٢) الطبرى: تاريخ ١ : ١١٨٥، ١١٩٩ ، ١٢٤٢ أوغيرها .

(٣) انظر فهرست الطبرى والأغانى والفصل المخصص لعبد الله بن الزبير فى الحلية .

وإلى عبد الله بن جحش . وعلى الرغم من فقه عروة ودينه فإنه لم يكن خصما للشعر ، بل ينثره فى الحوادث على لسان المشتركين فيها مثله فى ذلك مثل النموذج المعروف عن التاريخ الجاهلى . ولكن يبدو أن هذا التدين كان له أثره فى ناحية أخرى ، تلك هى خوفه من إبداء رأيه فى الحوادث ، وإنما يتبع المأثور والحديث كما يقول ابنه هشام[١]. ولعل ذلك هو الذى جعله يروى فى تاريخه بعض الأخبار التى لا يستطاع تصديقها بسهولة ، وربما كانت هذه الأخبار من أثر أجنبى ، يهودى أو نصرانى .

وهذه إحدى رسائل عروة التى أرسلها إلى عبد الملك بن مروان[٢]:

« ثنا أبان العطار قال : ثنا هشام بن عروة ، عن عروة : أنه كتب إلى عبد الملك :

أما بعــد :

فإنك كتبت إلى فى أبى سفيان ومخرجه ، تسألنى كيف كان شأنه ؟ كان من شأنه أن أبا سفيان بن حرب أقبل من الشام فى قريب من سبعين راكباً من قبائل قريش كلها ، كانوا تجاراً بالشام فأقبلوا جميعاً معهم أموالهم وتجارتهم ، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك ، فقتلت قتلى ، وقتل ابن الحضرمى فى ناس بنخلة ، وأسرت أسارى من قريش فيهم بعض بنى المغيرة وفيهم ابن كيسان مولاهم ، أصابهم عبد الله بن جحش وواقد حليف بنى عدى بن كعب فى ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعثهم مع عبد الله بن جحش ، وكانت تلك

---

(١) ابن حجر : التهذيب ٧ : ١٨٣

(٢) تاريخ الطبرى ١ : ١٢٨٤ .

الوقعة هاجت الحرب بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، وأول ما أصاب به بعضهم بعضاً من الحرب ، وذلك قبل مخرج أبى سفيان وأصحابه إلى الشام .

ثم إن أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومن معه من ركبان قريش مقبلين من الشام ، فسلكوا طريق الساحل . فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه ، وحدثهم بما معهم من الأموال ، وبقلة عددهم ، فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه ، لا يرونها إلا غنيمة لهم ، لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا لقوهم . وهى التى أنزل الله عز وجل فيها « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » . فلما سمع أبو سفيان أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معترضون له ، بعث إلى قريش أن محمداً وأصحابه معترضون لكم ، فأجيروا تجارتكم . فلما أتى قريشاً الخبر ، وفى عير أبى سفيان من بطون كعب بن لؤى كلها ، نفرلها أهل مكة ، وهى نفرة بنى كعب بن لؤى ، ليس فيها من بنى عامر أحد إلا ما كان من بنى مالك بن حسل . ولم يسمع بنفرة قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ، حتى قدم النبى صلى الله عليه وسلم بدراً . وكان طريق ركبان قريش من أخذ منهم طريق الساحل إلى الشام . فخفض أبو سفيان عن بدر ، ولزم طريق الساحل ، وخاف الرصد على بدر . وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى عرس قريباً من بدر . وبعث النبى صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام فى عصابة من أصحابه إلى ماء بدر، وليسوا يحسبون أن قريشاً خرجت لهم . فبينا النبى صلى الله عليه وسلم قائم يصلى إذ ورد بعض روايا قريش ماء بدر ، وفيمن ورد من الروايا غلام لبنى الحجاج أسود ، فأخذه النفر الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه

وسلم مع الزبير إلى الماء ، وأفلت بعض أصحاب العبد نحو قريش . فأقبلوا به حتى أتوا به رسول الله (ص)، وهو فى معرسه ، فسألوه عن أبى سفيان وأصحابه لا يحسبون إلا أنه معهم . فطفق العبد يحدثهم عن قريش ومن خرج منها ، وعن رءوسهم ويصدقهم الخبر ، وهم أكره شىء إليهم الخبر الذى يخبرهم ، وإنما يطلبون حينئذ بالركب أبا سفيان وأصحابه ، والنبى صلى الله عليه وسلم يصلى : يركع ويسجد ، ويرى ويسمع ما يصنع بالعبد . فطفقوا إذا ذكر لهم أنها قريش جاءتهم ضربوه وكذبوه ، وقالوا : إنما تكتمنا أبا سفيان وأصحابه فجعل العبد إذا أذلقوه بالضرب ، وسألوه عن أبى سفيان وأصحابه ، وليس له بهم علم ، إنما هو من روايا قريش ، قال : نعم هذا أبو سفيان . والركب حينئذ أسفل منهم ، كما قال الله عز وجل (إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ...) حتى بلغ (أمراً كان مفعولا) . فطفقوا إذا قال لهم العبد : هذه قريش قد أتتكم ضربوه ، وإذا قال لهم : هذا أبو سفيان تركوه . فلما رأى صنيعهم النبى صلى الله عليه وسلم انصرف من صلاته وقد سمع الذى أخبرهم . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «والذى نفسى بيده ، إنكم لتضربونه إذا صدق وتتركونه إذا كذب» قالوا : فإنه يحدثنا أن قريشاً قد جاءت ، قال . «فإنه قد صدق ، قد خرجت قريش تجير ركابها» . فدعا الغلام فسأله فأخبره بقريش ، وقال : لا علم لى بأبى سفيان فسأله : «كم القوم ؟» فقال : لا أدرى والله ، هم كثير عددهم . فزعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «من أطعمهم أول من أمس ؟» فسمى رجلا أطعمهم ، فقال : كم جزائر نحر لهم ؟ قال : تسع جزائر . قال : فمن أطعمهم أمس . فسمى رجلا . فقال : «كم نحر لهم؟» قال : عشر جزائر ، فزعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «القوم ما بين التسعمائة إلى الألف» . فكان نفرة قريش يومئذ خمسين وتسعمائة .

فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم فنزل الماء وملأ الحياض ، وصف عليها أصحابه ، حتى قدم عليه القوم . فلما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً قال : « هذه مصارعكم » . فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قد سبقهم إليه ونزل عليه ، فلما اطلعوا عليه زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « هذه قريش قد جاءت بجلبتها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم إني أسألك ما وعدتني » فلما أقبلوا استقبلهم فحثا في وجوههم التراب فهزمهم الله .وكانوا قبل أن يلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم قد جاءهم راكب من أبي سفيان والركب الذين معه أن ارجعوا ، والركب الذين يأمرون قريشاً بالرجعة بالجحفة ، فقالوا : والله لانرجع حتى ننزل بدرا فنقيم به ثلاث ليال ، ويرانا من غشينا من أهل الحجاز ، فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا. وهم الذين قال [فيهم] الله عز وجل « الذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس » فالتقوا هم والنبي صلى الله عليه وسلم ، ففتح الله على رسوله ، وأخزى أئمة الكفر ، وشفى صدور المسلمين منهم » .

وإذا أحببنا أن نعرف طريقة عروة في التأليف من هذه الرسالة نجده يعني في سرده الغزوة بالمقدمات التي سبقتها وأدت إلى وقوعها ، ويعني في أثناء السرد بإقامة الأدلة على صحة ما يقول من الآيات القرآنية ، ونجده يشير إلى الأشياء التي لايطمئن إليها ، أو يخاف مسئوليتها بكلمة «زعموا» ، كما حدث في روايته عدد قريش والأقوال المعزوة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . ولكن يبدو أنه كانت تأخذه أحيانا حماسة السرد ، فينساق وراء الموضوع الرئيسي ، ويترك بعض التفاصيل ، فيرجع إليها بعد ما ينتهي ، ويقول مثلا : « وكانوا قبل أن يلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم قد جاءهم راكب من أبي سفيان . . »

هذا ما نستطيع أن نستخلصه من هذه الرســـالة ، إلى جانب تذوقنا لأسلوبه البسيط الذى لا يخلو من فصاحة عربية غير متكلفة ، بل عاطفة صادقة يحسها القارىء فى ثنايا الوصف .

وهب بن منبه :

أما وهب بن منبه المتوفى عام ١١٠ هـ فليس من المدينة ، ولـكن من ذمار بجوار صنعاء عاصمة اليمن ، ولا تذكره كتب السيرة القديمة على أنه أحد رواة السيرة ، ولـكن حاجي خليفة[١] يقول عنه إنه جمع المغازى ، وقد تبين صدقه ، إذ اكتشف بيكر Becker بين مجموعة أوراق بردى شت رينهاردت Schott-Reinhardt المحفوظة فى هيدلبرج ، مجلداً يحتوى على قطعة من هذه المغازى . وتتناول قطعة هيدلبرج تاريخ العقبة الـكبرى ، واجتماع قريش فى دار الندوة ، والهجرة ، وغزوة بنى خيثم ، مما يدلنا على أن وهباً تنـــاول الفترة المـكية والمدنية من حياة الرسول . ويقول بعض من رأى هذه القطعة إن وهباً يهمل الإسناد ، ويعنى بالشعر[٢] .

وحفظت حلية الأولياء لوهب قطعتين من المغازى ، تتناول الأولى فتح

---

(١) حاجى خليفة : كشف الظنون رقم ١٢٤٦٤ .

(٢) هوروفتس : كتب المغازى الأولى ومؤلفوها .

مكة (١) ، والثانية وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (٢) ، وهو يذكر الإسناد فى القطعتين . وهذه هى القطعة الثانية يقول فيها :

« فلما كان يوم الأحد ثقل فى مرضه ، فأذن بلال بالأذان ثم وقف بالباب ، فنادى : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله ، الصلاة يرحمك الله ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت بلال ، فقالت فاطمة : يا بلال ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم مشغول بنفسه . فدخل بلال المسجد ، فلما أسفر الصبح قال : والله لا أقيمها أو أستأذن سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرجع وقام بالباب ونادى : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله الصلاة يرحمك الله . فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت بلال ، فقال : ادخل يا بلال ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشغول بنفسه ، مر أبابكر يصلى بالناس . فخرج ويده على أم رأسه وهو يقول : واغوثاه بالله ، وانقطاع رجائى ، وانقصام ظهرى ، ليتنى لم تلدنى أمى ، وإذ ولدتنى ليتنى لم أشهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اليوم . ثم قال : يا أبا بكر ، ألا إن رسول الله صلي الله عليه وسلم أمرك أن تصلى بالناس . فتقدم أبو بكر رضى الله عنه للناس ، وكان رجلا رقيقاً . فلما نظر إلى خلو المكان من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتمالك أن خر مغشياً عليه ، وصاح المسلمون بالبكاء . . . فلما كان فى يوم الإثنين اشتد به الوجع ، وأوحى الله تعالى إلى ملك الموت عليه السلام ، أن اهبط إلى حبيبى وصفيى محمد صلى الله عليه وسلم فى أحسن صورة وارفق به فى قبض روحه ، فهبط ملك الموت عليه السلام فوقف بالباب شبه أعرابى ، ثم قال : السلام عليكم ، يا أهل بيت النبوة ... »

---

(١) الأصبهانى : الحلية ٤ : ٧١ .

(٢) نفس المرجع ص ٧٣ .

وهذه الفقرة طويلة مفصلة . ولـكن قارئها لا يسعه إلا أن يشك فيها الشك الشديد ، فأسلوبها مما لا نألفه فى أساليب تلك الفترة ، وعبارتها غريبة عن الرجل العربى الذى يعيش فى ذلك العصر ، وقد لعب فيها الخيال دوراً كبيراً . ولذلك إذا صحت نسبتها لوهب ، فإننا لا نستطيع أن نطلق عليه لفظ مؤرخ ، بل قصاص .

ويجب أن نذكر أن وهبا اتجه فى التاريخ وجهة جديدة لم تعن بها مدرسة المدينة قبله ، تلك هى عنايته بأخبار أهل الكتاب ، وتاريخ وطنه اليمن . فالأستاذ هوروفتس ينسب لوهب « كتاب المبتدأ » الذى عزاه ابن النديم لحفيده عبد المنعم[1] . ويرى أن العنوان يشير إلى مبتدأ الخلق . ولـكننا لانرى داعيا لهذا ، ونرى أنه ربما جمع عبدالمنعم مواد كتابه مما فى كتب وهب الأخرى ،وخاصة كتابه فى تاريخ اليمن ، الذى عنى فيه بتاريخ الخليقة والأنبياء . ولم يعن وهب بالأنبياء وحدهم بل بالصالحين أيضا فى كتاب يسمى « كتاب العباد[2] ». ولعل الـكتاب الذى ينسبه إليه حاجى خليفة فى «الأخبار»[3] هو نفس كتابه عن العباد .

ويعتمد وهب فى جميع هذه الـكتب على أخبار أهل الـكتاب ، يهود ومسيحيين ، اعتماداً شديداً . ولقداشتهر بذلك حتى قيل عنه إنه قرأ ٧٠ أو ٧٣ أو ٩٢ من كتبهم المقدسة[4] . ولـكننا نميل إلى الشك فى هذا العدد ، ولعله

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٩٤ .
(٢) ابن سعد : الطبقات جـ٧ من القسم الثانى ص ٩٧ .
(٣) حاجى خليفة : كشف الظنون ٤ : ٥١٨ .
(٤) ابن سعد : الطبقات ٥ : ٣٩٦ .

استقى أغلب هذه الأخبار من أهل الكتاب الذين اتصل بهم فى موطنه اليمن ، الذى اشتهر منذ الجاهلية باستيطان هاتين الديانتين وتصارعهما فيه . بل بلغ الأمر بهذه الشهرة إلى حد أن نسب إلى وهب كتاب يسمى « الإسرائيليات » ، كما يقول حاجى خليفة[١] . ولكن ياقوتا يقول عنه إنه كان « كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات[٢] » ، أى يستعمل اللفظ وصفا لمصادر وهب ، لاعنوانا لأحد كتبه . ولذلك يرجح أن كتاب الإسرائليات هذا عبارة عن مجموعة الأخبار التى استقاها وهب من أهل الكتاب ، جمعها بعض المتأخرين ، وزاد عليها حتى صارت كتابا ، عرفه حاجى خليفة بذلك الإسم . وقد قام بتلك المحاولة ثانية شوفان Chauvin[٣] ولكنها محاولة مخفقة ، لأن هذه الأخبار غير كافية لتكوين كتاب ، ولأن هذه الأخبار دخلها كثير من الانتحال حتى عارض بعضها بعضاً ، وكثر فيها الخلط والتهويش . ولا يلام وهب كل اللوم على هذا الخطأ والتعارض ، لأن الأخبار الصحيحة عنه تطابق أخبار أهل الكتاب مطابقة كبيرة . وما شذ عن ذلك فيرجع إلى تغيير نفس المصادر التى استقى منها وهب ، أو إلى تغيير منه لتلائم الذوق الشعبي ، أو هى من عمل المتأخرين الذين غيروا فيها لتلائم القصص الشعبي .

والأمر الثانى الذى يمتاز به وهب هو كتابة تاريخ وطنه اليمن الخرافى القديم فى رسالة خاصة تسمى « كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم

---

(١) حاجى خليفة : كشف الظنون ٥ : ٤٠ .

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٢٣٢ .

(٣) النسخة المصرية من ألف ليلة وليلة ٥٧ .

وقصصهم وقبورهم وأشعارهم » ، كما يقول ياقوت(١) . ولسوء الحظ لم يصل إلينا هذا الكتاب ، وإنما وصل إلينا كتاب يسمى « كتاب التيجان فى ملوك حمير » ، وهو من رواية أبى محمد عبد الملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبى إدريس بن سنان عن جده لأمه وهب بن منبه. ولكن كل من يتصفح الكتاب يستطيع أن يرى بسهولة أنه ليس كله لوهب ، وإنما تصرف فيه ابن هشام تصرفه فى سيرة ابن اسحاق ، وإن كان لا يصرح بذلك كما فعل فى السيرة . ولذلك لا نستطيع أن نعرف مدى تصرفه ، غير أننا يمكننا أن نعرف الإضافات التى جلبها من روايات أخرى ، وصرح بسندها . فهو يروى أخباراً عن محمد بن اسحاق عن طريق تلميذه البكائى الذى روى السيرة(٢) أو عن طريق تلميذه الآخر المسمى أبا عباد الهمدانى(٣) ؛ ويروى عن أبى مخنف(٤) ، وعن محمد بن السائب الكلبى(٥) ، وعن عبيد بن شرية(٦) ، وعن بعض المحدثين(٧) . ولكنه إلى جانب ذلك يروى مجموعة كبيرة من الأخبار التى لا يسندها إلى أحد(٨) . وهى بالطبع ترجع إلى رواة مختلفين قد يكون منهم وهب نفسه(٩) . والأمر الجدير بالملاحظة أننا نرى جل الأخبار

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٢٣٢ .

(٢) كتاب التيجان ٧٥ ، ١١٥، ١٢٨ وغيرها .

(٣) ٢٠١ . (٤) ١٢٥ ، ١٨٠ .

(٥) ١٣٢ ، ٢١٣ ، ٢٤٠ . (٦) ٢٣٧ .

(٧) ٦٤ ، ١١١ ، ١٣٥ ، ١٦٤ ، ٢٣٧ ، وغيرها .

(٨) ٨١ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، وغيرها .

(٩) ٢٠٥ ، وانظر حلية الأولياء جـ٤ .

قبل الصفحة المئة من الـكتاب منسوبة إلى وهب ، ولـكنها تقل شيئا فشيئا حتى تكاد تنعدم بعد ذلك .

والـكتاب كما قلنا يتناول تاريخ اليمن . فيبدأ بخلق العالم ، وقصص آدم وأولاده ، حتى عهد نوح وأولاده . ثم يلتفت وهب إلى العرب من الساميين، وإلى عرب الجنوب خاصة ، ويسرد تاريخ أقيالهم وملوكهم ويعنى بغزواتهم فى أرجاء الأرض ، ويذكر هجرة عمرو بن عامر من اليمن إلى شمال بلاد العرب ، كما يذكر بعض ملوك غسان .

ولا يختلف كتاب التيجان لوهب كثيراً عن كتاب عبيد بن شرية فى طريقة العرض . فهما يطلقان لخيالهما العنان فى تصوير الوقائع . ويلونان الحوادث التاريخية بأطياف خيالية قد تخرج بها إلى حد الخيال والأسطورة . كما يدخلان فى تاريخهما الـكثير من الحوادث التى لا أصل لها ، ولذلك يصدق عليهما اسم القصص التاريخى أكثر من أى نعت آخر . ونحن نعدهما امتداداً للحركة القصصية التاريخية التى كانت موجودة فى الجاهلية . ولعل الذى نسخ الـكتابين فى نسخة واحدة رجل حكيم ، عرف منهما مواطن الشبه هذه ، التى تجعلنا لا نجد بينهما كبير فرق .

ويكشف هذا الـكتاب عن بعض خصائص وهب ، فهو مثل الجاهليين مغرم بالشعر ، مكثر من روايته ، وأكثر هذا الشعر منحول سخيف ركيك. ينسب وهب إلى آدم أنه قال حين قتل هابيل(١) :

---

(١) ١٧ .

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح
وجاورنا عدو ليس يهدى ... لعين لا يموت فأستريح
أيا هابيل يا ثمر الفؤاد ... أبعد العين مسكنك الضريح
محل تخلق الأجساد فيه ... ويبلى عنده الوجه الصبيح
فعيني لا تجف عليك سحا ... وقلبي الدهر محزون قريح

ولكن هناك بعض أشعار جيدة بالنسبة للسابقة ، ينسب مثلا إلى عبدشمس أنه قال يوصى ابنه بابليون(١) :

ألا قل لبابليون والقول حكمة ... ملكت زمام الشرق والغرب فاجمل
وخذ لبنى حام من الأمر وسطه ... فإن صدفوا يوما عن الحق فاقتل
وإن جنحوا بالقول للرفق طاعة ... يريدون وجه الحق والعدل فاعدل
ولا تظهرن الرأى فى الناس يجتروا ... عليك به واجعله ضربة فيصل
ولا تأخذن المال من غير وجهه ... فإنك إن تأخذه بالرفق تسهل

ويروى وهب أيضاً بعض أشعار ينسبها للنابغة الذبيانى ، ولبيد ، والأعشى ، وامرىء القيس(٢) . أما بيت النابغة ومقطوعة لبيد فهما فى ديوانيهما ، وأما مقطوعتا الأعشى وامرىء القيس فلم أجدهما فى ديوانيهما المطبوعين .

ولقد تأثر وهب بالقرآن أيضا فى القصص التى ورد ذكرها فيه ،

---

(١) ٤٩ .

(٢) ٧٦ ، ٧٧ ، ١١٥ .

فحاول أن يتبع خطاه ، وأن يستند إلى آياته ، يقول فى وصفه الخلق [١] :
« فاضطرب الماء وهاج ، فاصطفق ، فأزبد ، فصار أرضا ، فخلق الله الحوت والبحر من ذلك الزبد . ثم رفع الله السماء وهى دخان « فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أوكرها ، قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سماوات فى يومين » وخلق الملائكة ، وأوحى فى كل سماء أمرها ، أسكنهم السماوات يسبحون ويهللون ويقدسون الواحد القهار ، وخلق الجبال فى الأرض أوتاداً» .

وتظهر عند وهب نزعة إسلامية واضحة ، فهو يعنى بجلب آراء العلماء المختلفين فى بعض المواضع ، مثل اختلافاتهم فى خلق الجنة ، وفى قتل قابيل هابيل [٢] .

وأسلوب وهب فى كتابه بسيط صريح منطلق لا تثقله أى حلى ، ولا يقف عند زينة ، ولكن نجد عنده القطع الأرجوانية التى تكلمنا عنها فى أثناء حديثنا عن عبيد ، تلك القطع هى رسائل المشتركين فى الحوادث وخطبهم وشىء من حوارهم . قال وهب : ولما أراد الله إتمام أمره ، وإظهار العربية ، أنزل كتابا مقطعا وهو :

شهد الله بالحق ، بسم الله الرحمن الرحيم ، شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولو العلم ، قائما بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم . حكم الحى القيوم أنه إذ اعتكر الزمان ، وكثر النسيان ، وحكم فى ذرية آدم الشيطان

---

(١) ٣ .
(٢) ٢٦ .

وغلب هذا اللسان ، فعبدت الأوثان ، وقتل الولدان : أن يبعث الله محمداً بالعدل والحق والبيان ، يصدع بالقرآن ، وينصر الإيمان ، زمان ظهور السودان ، نبي لا نبي بعده ، ولم يخلف الله وعده[1] » .

وتذكرنا هذه القطع الأرجوانية بالشاعر الشعبي فى المقاهى فى مصر ، إذ نراه يقص حكايته بأسلوب بسيط منطلق ، حتى يأتى إلى حديث أبطال قصصه ، وخطبهم ، ورسائلهم ، فنرى أسلوبه يرتفع ويجمل ، بل نراه يفخم من لهجته ، وينطلق بها متعملا مترويا . ولا تكشف هذه القطع الأرجوانية من الحلى إلا السجع والازدواج وتوازن العبارات . ويبدو أن وهبا كان عارفا باللغة وأساليبها الأدبية . يقول فى شرحه للآية «لاعاصم اليوم من أمر الله » فى أثناء كلامه عن نوح :[2] « والعرب تجعل فاعل فى موضع مفعول قال الله : « فى عيشه راضية » و « ماء دافق » أى مرضية ومدفوق .

وأخيراً نجد فى تاريخ وهب ما وجدناه فى مواعظه من إسرائيليات تنفذ إليه وتشيع فيه ، وخاصة أن الموضوعات التى تناولها كانت تساعد على هذا الانتشار . وأظهر ما تتضح هذه الإسرائيليات فى الجزء الأول من الكتاب الذى يعالج فيه المؤلف كيفية خلق العالم وآدم وأولاده حتى نوح عليه السلام وأبنائه الثلاثة . كما يشتد وضوحها أيضا فى تناوله لقصة بلقيس وسليمان . ويبدو أن وهبا كان يعرف العبرانية والسريانية ، فنراه يذكر الاسم وترجمته العربية ، فقينان « عبرانى تفسيره باللسان العربى مشترى[3] » و « مهليل

---

(١) ٢٦ .
(٢) ٢٤ .
(٣) ٢١ .

عبرانى وتفسيره باللسان العربى ممدوح[1]. » و « مالالى [سريانى] وتفسيره بالعربى مسيح الله[2] » .

ويلاحظ عليه الأستاذ كرنكو Krenkow وهو يصف غزوات ذى القرنين قائلا :[3] « هذا الشعب ينفذ إلى جابرصا ، وهذا الشعب يصل إلى هراة ومرو وسمرقند ، وهذا ينفذ إلى جاجا وبلخا وحابلجا وبارد ، وأرض يأجوج ومأجوج » ، يلاحظ عليه ملاحظة جديرة بالاهتمام . يقول[4] : هذه الأسماء كلها محرفة فى الأصل ، والمراد بجاجا مدينة چاج فيما وراء النهر . وهى بجيمين فارسيين ، وقد عربت العرب اسم هذه المدينة فقالت : شاش . وبلخا محرف من بلخ بالخاء ، وحابلجا لعله محرف من جابلق . والظاهر أن هذه الأسماء كلها مأخوذة من كتاب باللغة الآرامية بحيث جاء فى آخرها ألف . وأما بارد فلا أدرى أى بلد يعنى بهذا » . فلو صدقت هذه الملاحظة لكان وهب يعرف الآرامية ، أو يأخذ عمن يحسنها .

ولا يقتصر الأمر على ذلك ، بل نراه يذكر بعض اللغات الأخرى مثل الحميرية حين يقول[5]: وكان يقال لحمير « العرنجج » ، والعرنجج : العتيق ، وحين يقول[6] : « ذو شدد بلغة حمير كقولك : ذو شطط » ، ومثل اللغة الحامية حين يقول[7]: « الشام اسم أعجمى من لغة بنى حام ، وهو طيب تفسيره بالعربى » .

---

(١) ٢١ . (٢) ٢١ . (٣) ٩٩ .
(٤) هامش ٩٩ . (٥) ٥٦ . (٦) ٧٨ (٧) ٤٩ .

قد نخرج من هذه الشواهد ونحن على مايشبه الاطمئنان من معرفة وهب باللغة العبرية والسريانية ، وفى نفسنا شىء من معرفته باللغة الآرامية والحميرية . ومما يزيدنا يقينا بمعرفته اللغات غير العربية ذلك القول فى كثير من المراجع بأنه قرأ الكتب ، أو العدد منها ، وأن تفسيره للكلمات العبرية والسريانية كان صحيحا فى أغلبه ، وربما استمد وهب بعض معارفه مما كان شائعا من قصص بين أهل الكتاب ، وإن لم يوجد فى إنجيل أو توراة .

هذا هو وهب بن منبه فى « كتاب التيجان » صورة مكبرة مهذبة من عبيد بن شرية ، صورة أحاطت بما تركه عبيد من الأخبار ، وأكثرت من الإضافات الأجنبية عن العرب الجاهليين ، وهى إضافات أملاها الإسلام والقرآن ، وإضافات أملاها الاتصال الشديد بأهل الكتاب ، وتقبل المسلمين لمعلوماتهم ومعارفهم . وإذن فوهب هو المؤرخ القصاص ، الذى تغنى بمفاخر وطنه ، وأشاد بها ملحمة نثرية بسيطة صريحة ، تلبس وشيا من الشعر والقرآن والرسائل والخطب والأحاديث المحبرة المجملة ، وقد صاغها الخيال فى إطار أدبى جذاب .

وهذه فقرة من كتاب التيجان[1] :

« ملك الهمال بن عاد

المعروف بذى شدد ، ملك متوج

وإنه لما مات لقمان بن عاد صار الملك إلى أخيه الهمال بن عاد بن الملطاط

---

(1) ٧٨ .

ابن السكسك بن وائل بن حمير . والهمال بن عاد هو ذو شدد ، فلما صار إلى همال ذى شدد دخل إلى المغارة التى دفن فيها أخوه شداد بن عاد ، فأخرج التاج وتتوج به . وكان لقمان غيبه فى تلك المغارة ، لأنه لم يكن متوجا ، كان متواضعا لله . فلماولى الهمال بن عاد أخذ الملك أخذا شديد ، فولى ذلك حينا من الدهر ثم مات . وإنما قيل له ذو شدد بلغة حمير كقولك ذو شطط بن عاد بن مناخ أى ذو عطاء .

وينسب حاجى خليفة[١] إلى وهب كتابا آخر يسمى « كتاب الفتوح » . ولكن المؤرخين الآخرين لا يذكرون عنه شيئا آخر .

عاصم بن عمر :

نرجع إلى المدينة لنجد عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى المتوفى عام ١٩٩ أو ١٢٠ هـ . وقد روى عاصم عن أبيه ، واشتهر بأحاديثه عن حياة الرسول عامة حتى وصفه ابن قتيبة بأنه « صاحب السير والمغازى[٢] » ، وروى عنه محمد ابن إسحاق والواقدى .

وتوضح اقتباسات ابن سعد فى طبقاته عناية عاصم بالفترة المكية من حياة الرسول ، إلى جانب عنايته بالفترة المدنية . كما توضح مقتطفات الطبرى أنه اهتم بتاريخ الخلفاء الراشدين ، وخاصة أخبار فتنة عثمان . ويذكر عاصم سند رواياته فى غالب الأحيان ، ولكنه يهمله كثيراً أيضا ، ويتبع غيره فى

---

(١) حاجى خليفة : كشف الظنون ٤ : ٣٨٧ .
(٢) ابن قتيبة : المعارف ٢٣٦ .

رواية الأشعار على ألسنة المشتركين فى الحوادث(١) . وإنما يمتاز بأنه لم يقتصر على جمع الحوادث وروايتها ، بل كان يبدى رأيه فيها ، ويعلق عليها(٢) .

وهذا مثال من أخباره فى وصف بيعة العقبة(٣) :

« قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة :

إن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصارى ، أخو بنى سالم بن عوف : يامعشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلا أسلمتموه ، فمن الآن ؟ فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة(٤) الأموال ، وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فإنا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يارسول الله إن نحن وفينا بذلك ؟ قال : الجنة . قالوا : ابسط يدك فبسط يده ، فبايعوه .

وأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال : والله ما قال ذلك العباس إلا ليشد العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم .

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ٢ : ٦٧ ، ٤ : ١٣ .
(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ٢ : ٨٩ .
(٣) نفس المرجع ٢ : ٨٨ . (٤) نهكة الأموال : نقصها .

الزهرى :

أشهر مؤرخى الجيل التالى هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى المتوفى عام ١٢٤ هـ . وقد أمره خالد بن عبد الله القسرى بكتابة السيرة له[١] ، كما أمره أيضا بكتابة كتاب عن القبائل العربية الشمالية ، ففعل ولم يتمه[٢] . ومن الواضح أن قرة بن عبد الرحمن يعنى الكتاب الأخير بقوله : لم يكن للزهرى كتاب إلا كتاب نسب قومه[٣] . ويبدو أن الزهرى كان واسع المعرفة بالأنساب ، يقول عنه الليث[٤]: « وإن حدث عن العرب والأنساب قلت : لا يحسن إلا هذا » . ويخبرنا الزهرى نفسه أنه كتب « أسنان الخلفاء » لجده[٥] ، وهى عبارة عن قائمة يذكر فيها تاريخ وفاة الخلفاء وأعمارهم عند الوفاة ، ومقدار ملكهم ، كما يظهر من القطعتين اللتين اقتبسهما منها الطبرى . ونسب له شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى كتاباً يسمى « مشاهد النبى صلى الله عليه وسلم » رواه عنه يونس بن يزيد[٦] ولم يصل إلينا من الزهرى كتاب خاص مستقل فى التاريخ ، على الرغم من كثرة مادونه لنفسه أو للأمويين ، حتى كثرت القصص عن هذا التدوين[٧] . ولكن بعض

---

(١) الأصفهانى : الأغانى ١٩ : ٦٩ . (٢) نفس المرجع ٥٩ .

(٣) الذهبي : تراجم رجال روى عنهم محمد بن إسحاق ٦٨ .

(٤) أبو نعيم : الحلية ٣ : ٣٦٠ .

(٥) الطبرى : التاريخ ٢ : ٤٢٨ ، ١٢٦٩ .

(٦) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ٨٨ .

(٧) ابن سعد : الطبقات ٢ : ١٣٥ .

المتأخرين جمع الأحاديث التى اقتطفتها من مدوناته كتب الأحاديث المتأخرة فى مجلد سماه « الزهريات(١) » .

ويبدو من الشذرات الباقية من كتابات الزهرى فى الطبقات خاصة أنه تناول حياة الرسول عامة ، ولم يقصر نفسه على الغزوات الفعلية وحدها . وقد تسربت إلى أخباره بعض الإسرائيليات ، حتى قال عنه الليث(٢) : « وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب لقلت : لا يحسن إلا هذا » . ويعزى إلى الزهرى الفضل فى أنه كان أول من قارن بين الأحاديث المختلفة المصادر فى موضوع واحد لإدماجها فى حديث واحد إجماعى يصدره بأسماء الرواة مجتمعين(٣) . وكانت هـذه خطوة إلى الأمام فى العرض التاريخى . وكان الزهرى أيضا أول من عنى بتدوين الأنساب ، فاتجه بذلك وجهة جديدة فى التاريخ . وقد سار الزهرى على منوال غيره من المؤلفين فى ذكر الإسناد تارة(٤) ، وحذفه أخرى(٥) ، وفى العناية بإدخال الشعر فى أخباره(٦) .

وللزهرى فضل كبير على الحركة التاريخية ، إذ أنه نشر كتبه بين الجمهور ، وحث على ذلك(٧) . « عن يونس قال الزهرى : إياك وغلول الكتب .

---

(١) هوروفيتس : كتاب المغازى الأولى ومؤلفوها ٦٧ .
(٢) أبو نعيم : الحلية ٣ : ٣٦٠ .
(٣) ابن هشام : السيرة ٣ : ٣٠٩ .
(٤) أبو نعيم : الحلية ٣ : ٣٦٥ .
(٥) ابن هشام : السيرة ١ : ١٢ ، ٧٢ ، ٢٣٧ وغيرها .
(٦) ابن هشام : السيرة ٤ : ٥٩ ، ٢٣٨ وغيرها .
(٧) أبونعيم : حلية الأولياء ٣ : ٣٦٦ .

قلت : وماغلولها ؟ قال : حبسها عن أهلها[١] » . وقد افتخر بنشر العلم فقال: «ماصبر أحد على العلم صبرى ، ولا نشره أحد نشرى[٢] ».

وهذه فقرة من كتاب « أسنان الخلفاء » تظهر لنا طريقته فيه . قال الطبرى[٣] : « عن هشام بن الوليد المخزومى أن الزهرى كتب لجده أسنان الخلفاء ، فكان فيما كتب من ذلك :

« ومات يزيد بن معاوية وهو ابن تسع وثلاثين . وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر ، فى قول بعضهم ، ويقال : ثمانية أشهر » .

وهذه فقرة من حياة الرسول فى مكة تتناول مبعثه صلى الله عليه وسلم[٤]

« قال ابن اسحاق : فذكر الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها أنها حدثته : أن أول مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة ، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به ، الرؤيا الصادقة ، لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فى نومه إلا جاءت كفلق الصبح . قالت : وحبب الله تعالى إليه الخلوة ، فلم يكن شىء أحب إليه من أن يخلو وحده » .

وأسلوب الزهرى — كما يبدو من هـذه الفقرات — سهل منطلق جميل بسيط .

---

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء ٣ : ٣٦٦ . (٢) نفس المرجع .
(٣) ٢ : ٤٢٨ . (٤) ابن هشام : السيرة ١ : ٢٤٩ .

موسى بن عقبة :

ينقضى جيل الزهرى ، ويظهر جيل آخر ، كله من تلاميذه . ونبدأ بموسى ابن عقبة المتوفى عام ١٤١ هـ . وهو من المشهورين بمعرفة المغازى ، وألف فيها كتابا رواه عنه ابن أخيه اسماعيل بن إبراهيم المتوفى عام ١٥٨[١] هـ . وقد ضاع هذا الكتاب إلا شذرات نحاول أن نتبين صورته منها . ويبدو أنه كان أصغر حجما من كتب المغازى الأخرى ، لأن مالك بن أنس يقول عنه[٢] : « عليكم بمغازى موسى بن عقبة ... فإنه رجل ثقة طلبها على كبر السن ، ولم يكثر كما كثر غيره » . وقد أكد بعضهم لألويس شبرنجر Aloys Shprenger فى دمشق أنه توجد منه نسخة هناك ، ولكنه لم يستطع أن يراها[٣] .

ولكن وجدت فى المكتبة البروسية الرسمية قطعة من هذه المغازى ، ترجمها الأستاذ ادوارد سخاو Edward Sachaw إلى الألمانية فى عام ١٩٠٤[٤] . ويتضح من هذه القطعة أن موسى لم يتناول المغازى بالمعنى الخاص بل تناول الهجرة أيضا . وقد اقتبس ابن سعد كثيراً منه عن طريق أستاذه

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٥ : ٣١٠ .

(٢) ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٠ : ٣٦١ .

(٣) كتب المغازى الأولى ومؤلفوها ٧١ .

(٤) سخاو : القطعة البرلينية من مغازى موسى بن عقبة (تقرير عن أعمال المجتمع البروسى للعلوم عام ١٩٠٤) .

الواقدى[١] ، وعن طريق ابن أخى موسى السابق ذكره[٢] . وتكشف لنا هذه المقتطفات أن مغازى موسى كانت تحتوى على قوائم بالمهاجرين إلى الحبشة ، وبالمشتركين فى بيعتى العقبة ، وبالمحاربين فى بدر[٣] ، فتدعم قول ابن حجر بأنه كتب هـذه القوائم عندما رأى شرحبيل بن سعد يدخل فى البدريين من لم يشهد بدراً[٤] . وكان الطبرى من الذين رجعوا إليه ، فاقتبس منه أخباراً يشير أكثرها إلى عهد الخلفاء الراشدين والأمويين ، إلى جانب عهد الرسول[٥] . ويشير زيد بن عمر إلى أن موسى بن عقبة اهتم بالتاريخ الجاهلى أيضا[٦] .

ـ نرى مما سبق أن موسى بن عقبة ينفرد عن المؤلفين قبله بعنايته الزائدة بالقوائم ، وتدوينه لتاريخ الخلفاء الراشدين وبعض الأمويين ، بل التاريخ الجاهلى أيضاً . ويختص بمراعاته أكثر من غيره لنظام الإسناد[٧] ، وإن تركه أحيانا[٨] . ويعنى أيضاً بالأخذ عن مدونات من سبقه ، مثل ابن عباس[٩]

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٣ : ٢٤١ ، ٨ : ١٠ ، ١١ ، ١٧١ ، ١٩٠ ، ١٩١ وغيرها .

(٢) نفس المرجع ٢ : ١ ، ٣ : ١ وغيرها .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٢ : ١ ، ٣ : ١ .

(٤) ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٠ : ٣٦١ .

(٥) ابن سعد . الطبقات ٥ : ٢٨٣ .

(٦) أبو الفرج : الأغانى ٣ : ١٦ .

(٧) الطبرى : التاريخ ١ : ٢٥٠ ، ١٨٥١ ، ٢٠١٤ وغيرها .

(٨) الطبرى : التاريخ ١ : ٢٧٥٥ .

(٩) ابن سعد : الطبقات ٥ : ٢١٦ .

كما يعنى بالوثائق المكتوبة[١] ، ويقتبس بعض الأشعار[٢] ، ويحاول ترتيب الحوادث ترتيبا زمنيا[٣] . ويمتاز عروة أيضا بعنايته بأخبار الحزب الزبيرى . ولعل سبب ذلك أنه يكثر الرواية عن جده لأمه أبى حبيبة مولى الزبير بن العوام[٤] ، كما يروى عن علقمة بن وقاص الليثى الذى يبدو أنه كان فى جيش الزبير وطلحة يوم الجمل[٥] .

وهذه فقرة من تاريخه تبين لنا طريقة تناوله وأسلوبه[٦]: « موسى بن عقبة عن أبى حبيبة مولى الزبير قال : قال : لما قتل الناس عثمان رضى الله عنه وبايعوا عليا ، جاء على إلى الزبير ، فاستأذن عليه ، فأعلمته به ، فسل السيف ووضعه تحت فراشه ، ثم قال : ائذن له . فأذنت له ، فدخل فسلم على الزبير ، وهو واقف بنحوه ، ثم خرج . فقال الزبير : لقد دخل المرء ، ما أقصاه . قم فى مقامه فانظر : هل ترى من السيف شيئا ؟ فقمت فى مقامه ، فرأيت ذباب السيف فأخبرته ، فقال : ذلك أعجل الرجل . فلما خرج على سأله الناس ، فقال : وجدت أبر ابن أخت وأوصله . فظن الناس خيرا ، فقال على : إنه بايعه » .

ويظهر لنا فى هذه الفقرة نظرة الحزب الزبيرى لمسألة الخلاف بين على

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ٨٠ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣ : ٢٤١ وغيرها .

(٣) هوروفتس : المغازى الأولى ومؤلفوها ٧٣ .

(٤) الطبرى : التاريخ ١ : ٢٩٨١ ، ٢٩٩٨ وغيرها ،

(٥) نفس المرجع ٣١٠٣ ، ٣١٢٧ .

(٦) نفس المرجع ٣٠٧٣ .

والزبير ، أكثر مما يظهر أى شىء آخر . وهذا ما يلاحظ على موسى فى أغلب أخباره ، التى يتبع فيها أخبار الزبيريين حتى عهد عبد الملك بن مروان .

سليمان بن طرخان :

تنتقل الكتابة التاريخية إلى البصرة ليظهر فيها سليمان بن طرخان المتوفى عام ١٤٣ هـ . ولم تذكر المراجع القديمة التى بين أيدينا أنه ألف كتبا ، وإن كنا نرى اسمه يتردد فى الطبرى . ولكن الأستاذ فون كريمر Von Kremer وجد مخطوطاً يحتوى على مغازى الواقدى التى لا تصل إلا إلى إجلاء بنى النضير من المدينة ، ثم تكمل بجزء من مغازى أبى المعتمر سليمان بن طرخان التيمى المسماة « السيرة الصحيحة كما يقول الناسخ [١] » . وتبدأ سيرة سليمان بالكلمة الأولى فى السطر ١٦ من الصفحة ٣٦٠ وتنتهى فى الصفحة ٤٣٧ . فهى تتألف من ٧٧ صفحة من النسخة المطبوعة .

ولا نستطيع من هذا الباقى من سيرته أن نحكم : هل تناول التاريخ الجاهلى ، وتاريخ النبى فى مكة ، أو اقتصر على المغازى وحدها ، وإن كان الاسم « السيرة » قد يجعلنا نميل إلى الظن بأنه تناول الفترة المكية من حياة الرسول أيضا . ولكن الطبرى يذكر له خبرين عن خلق آدم [٢] ، وعن حرق إبراهيم [٣] ، ثم لا يذكر له شيئا فى حياة الرسول ، وإنما يرجع إليه ثانية فى عهد

---

(١) فون كريمر : مغازى الواقدى ٤٣٨ ، والمقدمة ٢٣ .
(٢) الطبرى : التاريخ ١ : ٩١ .
(٣) نفس المرجع ٢٦٦ .

عثمان ، حيث يروى بعض ماحدث فى الفتنة . ولا ندرى لهذا سببا : أ كان الطبرى غير واثق بمغازيه ، أم لم تصل إليه ، أم لم يؤلف سليمان مغازى ، وهذه المغازى التى بين أيدينا محمولة عليه .

ويرى قارئ « سيرته » أن الأخبار موجزة مضغوطة منسقة منتظمة لا تكثر خلالها الفواصل والزوائد كما نرى عند غيره من المؤرخين ، فهو لا يذكر الأسانيد ، ولا يعنى بالروايات المتعددة . وإنما يسير على رواية واحدة لا يتعداها . ويمتاز وصفه بالقوة والحياة ، يشعر القارئ أنه مشرف على المعركة يرى الأبطال ويشاركهم أحاسيسهم وأفعالهم ، كمايشعر بأن المؤلف لا يكتفى بمجردوصف الأعمال وإنمايدقق فيهاويبسطها بسطاصادقا ، يجعلنانستطيع أن نتميز ما يدور فى خلجات المؤمنين فى كل موضع من المواضع . وكثيراً ماتكون هذه الانفعالات فى غير صالح المسلمين[1].

ولكننا نراه يأتى بروايات غريبة فى الغزوات الكبيرة المعروفة ، تخالف ما أجمع عليه المؤرخون الآخرون . ولنذكر على سبيل المثال ذلك الدورالذى قام به نعيم بن مسعودالأشجعى فى غزوة الخندق . فسليمان يراه من الجواسيس على النبي ، على حين يراه المؤرخون الآخرون من المؤمنين الذين خدموا النبي خدمة عظيمة ، وساعد على تفريق كلمة المشركين واليهود بخداعهم . وكذلك يأتى بروايات مخالفة فى غزوات بنى قريظة والحديبية وخيبر ومؤتة ووفاة الرسول . أما المؤلفون الآخرون فلا يعنون بذكر رواياته على الرغم

---

(١) انظر غزوة الخندق وغيرها .

من اهتمامهم بسرد غيرها من الروايات الكثيرة . ولا ندرى ما سبب هذا الإهمال ، إلا أن هناك ظنا يخامرنا ، وهو أن كثيراً من أخباره كان يصور المسلمين صوراً لا ترضيهم أو لا ترضى بعضهم[1] . ويورد سليمان أخباراً عن العباس لا نجدها عند غيره من المؤرخين[2]. وهى كلها فى جانب العباس ، مما يغرى المرء بالقول إنها من وحى العباسيين. ولكننا — بعد كل ذلك — نحب أن نشير إلى أن سليمان بن طرخان من المشهود لهم بالعدالة والفضل[3].

ويعنى سليمان بإيراد الآيات القرآنية[4] ، وشرح مناسباتها التاريخية ، والاعتماد عليها ، كما يعنى أيضا بالشعر[5]. ولكن هذا الشعر قليل متضائل بالنسبة لما عند غيره من الكتاب .

وهذه المغازى لها أهمية فوق كل ذلك ، إذ أنها أقدم كتاب تاريخى يتناول حياة الرسول ، سلم من الضياع ، ووصل إلينا شبه كامل ، فيما عدا الجزء الذى وجده بيكر من مغازى وهب . وهاك بعض الأمثلة التى تصور لنا طريقة تناوله للتاريخ ، يقول فى وصفه لموقعة الخندق[6]: «فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفر الخندق أتاه المشركون ، فنزلوا به ، فاقتتلوا

---

(١) انظر غزوتى الخندق وخيبر .　　(٢) ٩٢ ، ٤٣٣ .
(٣) مقدمة فون كريمر ٥ .　　(٤) ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٧٢ وغيرها .
(٥) ٣٧٤ ، ٣٩٠ ، ٣٩٦ ، ٤٠٢ وغيرها .　　(٦) ٣٦٣ .

قتالا شديداً ، بلغ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كل مبلغ . فحصروهم حصارا شديداً ارتاب منه المنافقون ، وشكوا فى نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وأساءوا اللفظ . فقام رجل من الأنصار يقال له مغيث بن بشير ، فقال : أوعدنا محمد أن يفتح قصور فارس والروم واليمن ، ولا يتبرز أحدنا إلى الخلاء من رحله ؟ والله لغرور : وتابعه على ذلك رهط من المنافقين ، فأنزل الله تعالى : « وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً » . وزعموا أن قبيلتين من الأنصار ، بنى حارثة بن الحارث وبنى سلمة ، هموا أن يخلوا مراكزهم ، وقالوا : يانبي الله ، إن بيوتنا خلية ، نخاف عليها السرق . فلهم يقول الله تعالى : « يقولون إن بيوتنا عورة ، وماهى بعورة ، إن يريدون إلا فرارا » . وذكر فى سورة أخرى فقال : « إذ همت طائفتان منكم أن تفتتلا ، والله وليهما ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » . فقالوا بعد ذلك : مانحب أن نهم بالذى هممنا به إذ كان الله ولينا .

ويظهر أسلوب سليمان فى هـذه الفقرة سهلا بسيطا سيالا ، حاراً ، صادقا ، موجزاً .

وهذه فقرة مما اقتبسه الطبرى من سليمان[١] : « أبو معتمر سليمان التيمى قال ثنا أبي قال ثنا أبو نضرة عن أبى سعيد مولى أبى أسيد الأنصارى ، قال : سمع عثمان أن وفد أهل مصر قد أقبلوا ، قال : فاستقبلهم وكان فى قرية له خارجة من المدينة ، أو كما قال ، فلما سمعوا به أقبلوا نحوه إلى المكان الذى هو فيه ، قال : وكره أن يقدموا عليه المدينة أو نحوا من ذلك ، قال : فأتوه ،

---

(١) الطبرى : التاريخ ١ ، ٢٩٦٣ .

فقالوا له : ادع بالمصحف ، قال : فدعا بالمصحف ، قال: فقالوا له: افتح السابعة قال : وكانوا يسمون سورة يونس السابعة ، قال : فقرأها حتى أتى على هـذه الآية « قل أرأيتم ما أنزل الله لـكم من رزق فجعلتم منـه حراما وحلالا ، قل الله أذن لـكم أم على الله تفترون ». قال : قالوا له : قف . فقالوا له : أرأيت ماحميت من الحمى ، الله أذن لك أم على الله تفترى ؟ قال : فقال : امضه ، نزلت فى كذا وكذا . قال : وأما الحمى فإن عمر حمى الحمى قبلى لإبل الصدقة ، فلما وليت زادت إبل الصدقة فزدت فى الحمى لما زاد فى إبل الصدقة ، امضه ... »

ويلاحظ فى هـذه الفقرة ، وفى فقرة ثانية فى الطبرى[1] تتناول تـكملة الحادثة ، الإكثار من اعتراض لفظ « قال » فى السياق ، مما لا نجد مثله كثيراً عند الطبرى ، ممـا يجعلنا نرجح أنه من خصائص كتاب سليمان الذى أخذ عنه الطبرى ، ولـكن المغازى التى بين أيدينا ليس فيها هذا الاعتراض الـكثير ونحن لا نستطيع أن نعمم هـذا الحـكم من فقرتين فحسب . لأن الفقرات الباقية فى الطبرى من القصر بحيث لا تظهر فيها هذه الظاهرة .

عوانة بن الحكم :

من مؤرخى العراق أيضاً أبو الحـكم عوانة بن الحـكم الضرير الفقيه المتوفى عام ١٤٧ هـ أو ١٥٨ هـ . ونسب له ابن النديم[2] فى « الفهرست »

---

(١) نفس المرجع ٣٠٠٦ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ٩١ .

كتابين : « كتاب التاريخ » و « كتاب سيرة معاوية وبنى أمية » . وقد شك بعض العلماء فى الكتاب الأخير ، ونسبه لمنجاب بن الحارث التميمى المتوفى عام ٢٣١ .

وروى عبد الله بن المعتز عن الحسن بن عليل العنزى أن عوانة كان عثمانيا يضع الأخبار لبنى أمية . وترجح دائرة المعارف الإسلامية ذلك الرأى[١] . ولكن الهيثم بن عدى يروى خبراً عنه حين قتل محمد بن عبد الله بن الحسن ابن على بن أبى طالب بالمدينة ، وكيف أنه ترحم عليه وذكر فضله ، مما يدل على أنه كان يظهر العثمانية تقية منه ، وخاصة أنه فى نهاية الخبر السابق يستفسر من الجالسين إذا ما كان أحد عيون الأمويين حاضرا ، فلما يتأكد من عدم حضور أحد يمدح محمداً مدحا رائعا .

ولا تؤيد الأخبار الباقية لنا منه عند الطبرى[٢] والبلاذرى[٣] تلك التهمة ، إذ لا يظهر فيها أى هوى للأمويين . ولعل الطبرى والبلاذرى لم يذكرا لنا تلك الأخبار التى تظهر فيها عثمانيته وأمويته . ويجب أن نحترس فى هذا الرأى لأننا نجد كثيراً من التهم توجه لعوانة تريد الحط من قدره ، مثل تلك الأخبار التى تجعله لا يميز بين الشعر والقرآن[٤] ، على الرغم من قولهم إنه كان عالما بالشعر والفصاحة[٥] ، وعلى الرغم من القصة السابقة

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٩٤ . ودائرة المعارف الاسلامية ، مادة «عوانة» .
(٢) الطبرى : التاريخ ١ : ١٨٢٧ ، ٢٧٥٥ ، ٣٢٠٤ وغيرها .
(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ٦٢ ، ٩٤ ، ١٨٢ ، ٢٤٠ وغيرها .
(٤) ياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٩٤ .
(٥) نفس المرجع ٦ : ٩٥ .

التى يمدح فيها محمد بن عبدالله بالآية « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله » ، مما يدل على معرفة بالقرآن أيضاً . كل هذه التهم تدلنا على أنه كان كثير الخصوم ، وإن لم نستطع معرفتهم ، وسبب خصومتهم له ، وإن خامرنا الظن بأن عثمانيته المزعومة ربما كانت سبب هذه العداوة .

ولا تتناول المقتطفات الباقية من تاريخ عوانة شيئاً من حياة الرسول ، وإنما تبدأ ببيعة أبى بكر ، وتصف الردة وفتح العراق ، وفتح بلدان فارس المختلفة مثل المدائن وجلولاء وهمذان ، ووقعة الجمل ، وحروب على ومعاوية ، والحسن ومعاوية ، وتاريخ العراق ، وقتل الحسين ، وثورة عبد الله بن الزبير ، وتنتهى الأخبار بخروج ابن الأشعث وقتل ابن القرية[1] .

ونرى عوانة فى هذه المقتطفات لا يعنى بالأسانيد كثيراً ، ويبحث عن المواد فى كل مكان حتى ليأخذها من أقارب المشتركين فى الحوادث . ويعنى كذلك بإيراد الأشعار .

وهذه فقرة من أخباره[2] : « يحي بن آدم عن عوانة بن الحكم عن جرير بن يزيد عن الشعبي قال ، قال عبد الله بن مسعود : لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه ، لولا أن من الله علينا بأبى بكر : اجتمع رأينا جميعا على ألا نقاتل على بنت مخاض وابن لبون ، وأن نأكل

(١) انظر فهرست الطبرى والبلاذرى .
(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ٩٤ .

قرى عربية ، ونعبد الله حتى يأتينا اليقين ، وعزم الله لأبى بكر رضى الله عنه على قتالهم ، فوالله مارضى منهم إلا بالخطة المخزية أوالحرب المجلية . فأما الخطة المخزية فأن أقروا بأن من قتل منهم فى النار ، وأن ما أخذوا من أموالنا مردود علينا ، وأما الحرب المجلية فأن يخرجوا من ديارهم .

وأسلوب عوانة منســاب منطلق ، يعنى فى بعض الفقرات بالحوار ، وبالشعر ، وما يدور بين أبطال الحوادث .

محمد بن اسحاق :

أخيراً يظهر محمد بن اسحاق المتوفى عام ١٥٠ هـ تقريبا ، فيؤلف كتابا يغطى به على جميع هؤلاء المؤرخين المتقدمين ، ويجذب أنظار المتأخرين على الدوام . ويسمى كتاب ابن إسحاق هذا « كتاب المغازى » ، ولم يصل إلينا الـكتاب بصورته الأصلية ، ولـكن وصل إلينا قسط عظيم منه فى سيرة ابن هشام . ويقال إن مكتبة كوبريلى بالأستانة تحتوى على مخطوطة من النسخة الأصلية من الـكتاب ، ولـكن الأستاذ هوروفتس يرى أننا إذا ماعاينا هذه المخطوطة وفحصناها فحصاً دقيقاً ، وجدناها نسخة من كتاب ابن هشام لا ابن إسحاق(١) .

ويقال(٢) إن سبب تأليفه المغازى أنه دخل ذات يوم على المنصور وبين يديه ابنه المهدى ، فقال له المنصور : أتعرف هذا يابن إسحاق ؟ قال : نعم ،

---

(١) هوروفتس : المغازى الأولى ٨٢ .

(٢) ابن هشام : السيرة ص ط .

هـذا ابن أمير المؤمنين . قال : اذهب فصنف له كتابا منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى يومك هذا . فصنف ابن إسحاق هذا الكتاب ، فقال له المنصور : لقد طولته ، يابن إسحاق ، اذهب فاختصره . وحفظ المنصور الكتاب الكبير فى خزانته .

ولكن الأستاذ فيك[١] Fück يرى أن ابن إسحاق لم يؤلف كتابه بأمر من الخليفة ، ولا فى بغداد أو الحيرة ، وإنما فى المدينة قبل إقامته لدى العباسيين ويستدل على ذلك بأن رواته الذين أخذ عنهم جميعاً مدنيون ومصريون ، ولا يذكر فيهم أحد من العراقيين ، كما نجد أحد تلاميذ ابن إسحاق المدنيين يروى الكتاب ، وذلك هو إبراهيم بن سعد[٢] المتوفى عام ١٨٤هـ . بل نرى فى الكتاب حوادث ما كان يرضى لذكرها العباسيون مثل تدوينه اشتراك العباس فى بدر إلى جانب الكفار ، وأسر المسلمين له[٣] ، ذلك الخبر الذى حذفه ابن هشام فيما بعد خوفا من العباسيين . وربما أجرى ابن اسحاق بعض التغييرات الإضافية الطفيفة فى الكتاب إرضاء للخليفة مثل رواياته عن مناصرة العباس للاسلام ، أو اعتناقه له سراً[٤] . وإن كانت هـذه الروايات أيضا رواها عنه تلميذه المدنى إبراهيم بن سعد ، مما يجعلنا نعتقد أنه لم يجرها فى العراق المرة الأولى .

وعلى الرغم من عدم وصول النسخة الأصلية من الكتاب إلينا ، وعلى

---

(١) فيك : محمد بن إسحاق .
(٢) هوروفتس : المغازى الأولى ٨١ ، ٨٢ .
(٣) الطبرى : التاريخ ١ : ١٣٤١ ، ١٣٤٤ . وابن سعد : الطبقات : ٤ ٧ .
(٤) ابن هشام : السيرة ٢ : ٢٠١ .

الرغم من حذف ابن هشام لأجزاء كثيرة منه ، فإننا نستطيع تكوين صورة قريبة من الكمال عنه ، بفضل المقتطفات العديدة عند الطبرى والمؤرخين المتأخرين ، والتى قد تكون محذوفة عند ابن هشام . ويساعدنا على تكوين الصورة تصريح ابن هشام بما أجراه من تغييرات فى الكتاب ، إذ يصدره بقوله[1] : « وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ، ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولده ، وأولادهم لأصلابهم ، الأول فالأول ، من إسماعيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار إلى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق فى هذا الكتاب ، مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شىء ، وليس سببا لشىء من هذا الكتاب ، ولا تفسيرا له ، ولا شاهدا عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائى بروايته ، ومستقص إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له ، والعلم به » . وكان ابن هشام دقيقا فى تصريحه بكل مايفعله من زيادة أو حذف على الدوام ، وفيما عدا هذه التغييرات لا يجرى أى عمل من عنده فى النص الأصلى ، وإنما يرويه كما هو .

---

(١) نفس المرجع ١ : ٤ .

ويظن أن الكتاب كان فى أصله مقسما إلى ثلاثة أجزاء : المبتدأ ، والمبعث ، والمغازى ، أما المبتدأ فيتناول التاريخ الجاهلى . وقد خص ابن هشام هذا الجزء بالحذف أكثر من غيره ، ولكن الطبرى حفظ جزءاً كبيراً منه، فى تاريخه وتفسيره وخاصة ما يتعلق بالأنبياء ، كما حفظ الأزرقى أخباراً كثيرة تتناول تاريخ مكة القديم ، ووعى كتاب عبيد بن شرية بعض أخباره كما ذكرنا من قبل .

وينقسم هذا الجزء إلى أربعة فصول : يتناول أولها تاريخ الرسالات السابقة على الإسلام منذ خلق العالم حتى ظهور عيسى . ويرجع ابن إسحاق فى هذا الفصل إلى وهب بن منبه ، وابن عباس ، وأهل الكتاب ، بل التوراة ذاتها ، إلى جانب رجوعه إلى القرآن . ويورد فيه أخبار أهل الكتاب ، والقبائل العربية التى ذكرها القرآن مثل عاد وثمود ، بل التى لم يذكرها القرآن مثل طسم وجديس . ويتناول الفصل الثانى تاريخ اليمن فى العصور الجاهلية . وسبب عنايته بهذا التاريخ وجود الإشارات العديدة فى القرآن إليهم ، مثل إشاراته إلى أهل الأخدود ، وأصحاب الفيل . وقد وعى ابن هشام والطبرى جزءاً كبيراً من هذا الفصل . وأما الفصل الثالث فيتناول القبائل العربية وعبادة الأصنام . ويتناول الرابع أجداد النبى المباشرين وديانة أهل مكة . ولا يعنى ابن إسحاق فى هذا الجزء بالأسانيد إلا نادراً ، وأغلبها فى الفصل الأول .

أما المبعث فيشمل حياة النبى فى مكة ، والهجرة ، وربما العام الأول من نشاطه فى المدينة ، ونراه فى هذا الجزء يصدر الأخبار الفردية بموجز حاولها، ويدون مجموعات كاملة من القوائم : فقائمة لمن أسلم من الصحابة بدعوة

أبى بكر (١) ، وأخرى بالمهاجرين إلى أرض الحبشة (٢) ، وثالثة لمن عاد من أرض الحبشة لما بلغهم إسلام أهل مكة (٣) ، وأخرى وأخرى مما يطول حصره . ويوجد فى هذا الجزء وثيقة انفرد بها ابن إسحاق من بين المؤرخين الآخرين . وهى معاهدة النبى الأولى ، التى كتبها لينظم التعاون بين المهاجرين والأنصار واليهود ، بعد هجرته إلى المدينة مباشرة . ويعنى ابن إسحاق فى هذا الجزء بالترتيب الزمنى للحوادث ، كما تزداد عنايته بالأسانيد التى يرجع معظمها إلى شيوخه المدنيين .

وأخيراً المغازى ، وهى تتناول حياة النبى فى المدينة منذ أول سهم أطلق فى الحرب إلى وفاته صلى الله عليه وسلم . وتملأ الغزوات الحربية هذا الجزء ، فلا يستطيع المؤلف أن يفصل الكلام إلا عن مرض النبى الأخير ووفاته . ويسير ابن إسحاق فى هذا الجزء على خطة رسمها لنفسه ولم يتجاوزها ، إذ يبدأ الخبر بملخص حاو لمحتوياته ، ثم يتبعه بخبر من جميع الأقوال التى أخذها من رواته ، وفى النهاية يكمله بما جمعه هو نفسه من المصادر المختلفة . وتكثر القوائم أيضاً ، عمن حضر بدراً من المسلمين ، ومن استشهد من المسلمين يوم بدر ، ومن قتل ببدر من المشركين ، وما ماثل ذلك فى الغزوات المختلفة . ويلتزم ابن إسحاق هنا إيراد الأسانيد ، وجميع رواته من المدينة ، وأهمهم الزهرى وعاصم بن عمر وعبدالله بن أبى بكر بن حزم ، الذين أمدوه بما ساعده فى ترتيبه الزمنى للحوادث . وقد زاد ابن إسحاق المادة التى

---

(١) ابن هشام : السيرة ١ : ٢٦٧ .
(٢) نفس المرجع ٣٤٤ .
(٣) نفس المرجع ٢ : ٣ .

أخذها منهم بما جمعه بنفسه من غيرهم من الرواة ، ومن أقارب المشتركين فى الحوادث المؤرخة .

وقد لقيت هذه السيرة منذ ظهورها عناية كبيرة ، فرواها خمسة عشر تلميذاً لابن إسحاق كما يقول فيك (١) . أما ابن هشام فكان يرجع إلى رواية البكائى . وأما الطبرى فكان يرجع فى الغالب إلى رواية سلمة بن الفضل المتوفى عام ١٩١ هـ . وأما ابن الأثير فى «أسد الغابة» وابن حجر فى «الإصابة» فكانا يرجعان إلى رواية يونس بن بكير (٢) المتوفى عام ١٩٩ هـ . ثم كان الناس إلى اليوم يرجعون إليها فى نسخة ابن هشام بعد ظهور هذه .

ونرى ابن إسحاق يرجع فى سيرته إلى العلماء من غير المسلمين فى أخباره عن الحوادث اليهودية والمسيحية والفارسية . ولذلك نراه يذكر بين رواته « بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول (٣) » أو « أهل التوراة (٤) » أو « من يسوق الأحاديث عن الأعاجم (٥) » . ويعد هذا تحولا خطيراً من مدرسة المدينة التى لم تكن تقبل مثل هذه الأخبار ، ولا مثل هؤلاء الرواة فابن إسحاق أول من اقترب بمدرسة المدينة إلى مدرسة اليمن فى قبول هذه الأخبار ، حتى إننا نراه يأخذ بعض الأخبار عن وهب بن منبه ، بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيعطينا فقرات من العهدين القديم والجديد مترجمة ترجمة حرفية .

وعنى ابن إسحاق بالرجوع إلى الوثائق والمدونات ، كما حاول أن يذكر الأسانيد . ولكن مادته الكثيرة المتنوعة اضطرته إلى توسيع دائرة رواته ،

( ) هوروفتس : المغازى الأولى ٨٧ . (٢) نفس المرجع ٨٧ .

(٣) الطبرى : ١٤٠ . (٤) الطبرى : التاريخ ١ : ١٤١، ٤١٣ .

(٥) ابن هشام : السيرة ١ : ٣٢٨ .

وقبول بعض الأحاديث غير المرضية والإخلال بنظام الأسانيد ، مما أزعج مدرسة الحديث وهالها ، فكالت له التهم ، وسحبت منه ثقتها (١) .

وينفرد ابن إسحاق عن باقى المؤرخين بكثرة الأشعار التى أدخلها فى كتابه كثرة أفزعت معاصريه ومن بعدهم ، إذ لم يكن يتحقق من صحة الشعر بل يدخل مايحصل عليه دون تحقيق . ولذلك نجد عنده أشعاراً منتحلة ظاهراً انتحالها ، مثل تلك التى قيلت فى عهد عاد وثمود (٢) . ولكن بعض العلماء (٣) اعتذر عنه بأنه اقتبس هذه الأشعار لتزيين تاريخه لالصحتها عنده فهو ما كان يتمسك بأنها صحيحة لو ثبت له غير ذلك ، ولكن فن الكتابة التاريخيه كان اعتاد إدخال الشعر للتحلية منذ الجاهلية . كما أنه اعتذر هو عن نفسه بأنه ليس عالماً بالشعر وأنه يدون ما يحمل إليه (٤) .

ولكن ابن إسحاق غاية فى النزاهة فى تاريخه ، يدون آراء المذاهب المتعادية بكل أمانة وبدون تحيز ، حتى لقد روى أشعار المشركين فى هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم (٥) ، فاضطر ابن هشام أن يلطف من حدة بعض هذه الأشعار (٦) .

ويمتاز ابن إسحاق بأنه لم يكن أول من عرض فترات حياة الرسول باتساق فى كتابه فحسب ، بل وسع أفق هذه السيرة ، فجعلها تاريخا للرسالة

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٣٩٩ .

(٢) الطبرى : التاريخ ١ : ٢٣٦ وما بعدها .

(٣) هوروفتس : كتب المغازى الأولى ومؤلفوها ٩٣ .

(٤) ابن سلام : طبقات الشعراء ٤ .

(٥) انظر شعر ابن الزبعرى فى بدر وأحد فى السيرة .

(٦) ابن هشام : السيرة ٢ : ٢٤٤ .

الإلهية عامة ، فأدخل فيها تاريخ الأنبياء المتقدمين . ويتحلى كذلك بتلك الخصيصى التى تحلى بها أستاذه الزهرى من قبل ، وأعنى بها العناية بربط الأحاديث بموجز يربط بينها ويحوى ما تشتمل عليه من أخبار ، والعناية بتأليف خبر عام موحد من الروايات المختلفة . وهو يعطينا فى بعض الأحيان تعليقات على الحوادث برأيه . ويظهر ابن إسحاق فى سيرته كاتبا ساحراً . يعرف كيف يجمع مادته بطريقة تجذب انتباه القارىء على الدوام ، ويصور لنا الشخصيات التى يصفها بحيث تبرز أمامنا كأننا نراها رأى العين . ومهما اختلفت وجهات النظر فى سيرته ، فإنها تقف فوق مستوى سام جداً ، بل تزداد قيمتها حين نعرف أنها من أقدم الكتب العربية النثرية التى وصلت إلينا .

ويبدو أن ابن إسحاق لم يكتف بتاريخه الجاهلى . بل أراد أن يكمل التاريخ الإسلامى أيضاً ، « فألف كتاب الخلفاء[١] » . ولكن هذا الكتاب فقد ، ولم يصل إلينا منه غير فقرات عند الطبرى ، تدون حوادث وقعت فى عهد الخلفاء الراشدين ، وعثمان خاصة ، بل بعض حوادث العهد الأموى أيضا[٢]. ومع ذلك ليست هذه الفقرات كافية لأن تعطينا صورة واضحة نحكم بها على الكتاب .

وهذه فقرة من مغازيه فى وصف غزوة مؤتة[٣]: « بعث رسول الله صلى الله

---

(٣) ابن النديم : الفهرست ٩٢ . وياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٤٠١ .

(٢) الطبرى : التاريخ ١ : ١٨٢٣ ومابعدها . والبلاذرى : فتوح البلدان ٢٧٨ ، ٣١٢ ، ٣٢٧ وغيرها .

(٣) ابن هشام : السيرة ٤ : ١٥ .

عليه وسلم بعثة إلى مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد ابن حارثة ، وقال : إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف . فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم . فلما ودع عبد الله ابن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى ، فقالوا : ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه يقرأ آية من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا » فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود . فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين . فقال ابن رواحة :

لكننى أسأل الرحمن مغفرة — وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدى حران مجهزة — بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقال إذا مروا على جدثى — أرشده الله من غاز وقد رشدا

الفصل الثالث

مظاهر الكتابة التاريخية

رأينا أن الكتابة التاريخية العربية نشأت من تيارين مختلفين :

١ — تيار قديم يتألف من القصص الخيالية والأساطير الشعبية المأثورة عن قدماء العرب التى كان يرويها القصاص المتنقلون عن العرب الشماليين وأنسابهم وأيامهم ، وعن ملوك العرب الجنوبيين وفتوحاتهم . وهى قصص لحمتها وسداها الخيال المبالغ ، تكثر بها الأشعار ، التى كانت فى بعض الأحيان وخاصة فى الأيام المحور الذى تدور عليه القصة النثرية ، حتى إنه عند ما نسيت تلك الأشعار ، اندثرت تلك القصص ، فاضطر القصاص إلى استحداث أشعار جديدة وإحاطتها بقصص مبتكرة عن هذه الأيام . ولا تعتمد هذه القصص على توقيت تاريخى لحوادثها ، بل تتناول الأحداث الهامة ، والحروب خاصة ، دون ربط بينها ، ودون أن تنظم البحث فى المجرى التاريخى العام . ويتمثل هذا التيار الخيالى فى العهد الإسلامى فى عبيد بن شرية ووهب ابن منبه .

٢ — والتيار الثانى جديد استحدثه الإسلام ، وهو تيار السيرة ، الذى يتكون من أخبار دقيقة مضبوطة ، متفرعة من علم الحديث ، ولذلك نالها مانال من نقد وتمحيص . وكانت هذه السيرة تتألف من القصص الصحيحة

والخيالية التى أحاطت بشخص الرسول بسبب إجلال المسلمين له . وأخذ المؤرخون يجمعون هذه القصص ويركبونها ، ويربطون بينها ، مستعينين بالآيات القرآنية .

وقد لعب التيار الأول ، وخاصة فرع الأيام منه ، دوراً فى هذا التيار ، وخاصة فى الفترة المدنية من حياة الرسول التى تمتلىء بالغزوات . ويظهر هذا الدور فى طريقة تناولهم لهذه الغزوات ، فإنها تشبه طريقة تناول القصاص القدماء لأيام الجاهليين . بل لعل الرسول صلى الله عليه وسلم كان يمثل فى السير دور البطل فى قصص الأيام الجاهلية . ونذكر إلى جانب هذا كله آثاراً يهودية ومسيحية ، بل آثارا فارسية ضئيلة ، وجدت أيضا فى هذه السيرة . وتبين هذه الآثار جميعا عند وهب بن منبه الذى تعتبر كتاباته روايات تاريخية . ولكن تيار السيرة كان له صبغة علمية دقيقة فى المدينة أكثر منها فى أى موطن آخر ، لارتباط المؤرخين فيها بالأحاديث الصحيحة أكثر من المؤرخين الآخرين ، ويظهر هذا التيار العلمى الدقيق عند أبان وعروة .

وهكذا نرى أن الكتابة التاريخية نشأت نشأة عربية خالصة ، لا يد فيها للفرس أو اليونان . فهذه الكتابة بجميع صورها استمرار لما كان يوجد فى الجاهلية ، أو تفرع لعلم الحديث العربى الخالص . وكان أوائل المؤرخين عربا ، سواء كانوا من الجنوب مثل عبيد ، أو من الشمال كأبان وعروة . ولكن هذه الحركة العربية ما لبثت أن تأثرت بمؤثرات خارجية من أهل الكتاب والفرس ، بل صار جميع المؤرخين من الموالى فى أواخر القرن

الثانى من الهجرة . وإذن فالتاريخ الإسلامى يخالف كثيراً من العلوم الإسلامية الأخرى فى نشأته العربية الخالصة ، ولكنه لا يلبث أن يقع فى أيدى الموالى مثل جميع العلوم الإسلامية الأخرى .

وأخذت هذه التيارات التاريخية المختلفة فى التطور ، فنجد التاريخ القبلى الجاهلى أو الأيام والأنساب يعنى بها فى العراق خاصة ، ويدخلها علماء اللغة فى نطاق أبحاثهم إذ أنها تعينهم على فهم الأشعار التى يريدون جمعها وشرحها . ويتمثل لنا جهد اللغويين فى هذه الناحية فى نقائض أبى عبيدة المتوفى عام ٢٠٩ هـ ، التى يروى فيها أخبار الأيام ، ويطيل فى ذلك . أما العناية بالأنساب فتتمثل فى محمد بن السائب الكلبى المتوفى عام ١٤٦هـ ، وغيره من النسابين .

ونجد القصص الخرافية الشعبية تستمر فى الوجود ، فيظهر عبيد بن شرية الذى يعنى بتاريخ القبائل البائدة من العرب ، ووهب بن منبه الذى يعنى بتاريخ اليمن وأهل الكتاب ، ويسير على النمط الجاهلى المأثور فى القصص الشعبية الخرافية المغرقة فى الخيال .

وأما تاريخ السير والمغازى المولود فى المدينة ، والمتفرع من الحديث فقد تأثر به فى بادىء الأمر ، فظهر الإسناد عند أول كاتبين فيه ، وهما أبان عروة ، وإن لم يصر ضربة لازم بل كانا يتجاهلانه كثيراً . وأخذت السير والمغازى تتطور سريعا ، فنجد الزهرى يخطو بالتاريخ خطوة بارعة إلى الأمام ، إذ يحاول الربط بين الأحاديث ، بل يحاول تأليف خبر واحد من الأحاديث المختلفة بعد إدماجها ، كما يحاول أن لا يجعل من التاريخ وقفاً

على فئة معينة من الناس ، وإنما ينشره بين الجمهور كله . هـذا إلى جانب عنايته بالأنساب ، وخاصة أنساب قومه .

ويشرع مؤرخو المدينة فى الالتفات إلى ميادين تاريخية أخرى على يد عروة وموسى بن عقبة ، إذ يمدان البحث فيشمل تاريخ الخلفاء الراشدين ، ثم الأمويين ، وكان ذلك الامتداد من تأثير السيرة أيضا .

ويتوج هذا التطور بمحمد بن إسحاق المؤرخ الحقيقى ، الذى يمثل نهاية تطور السيرة ذات النموذج الدينى عند المحدثين ، وذات النموذج الملحمى عند القصاص الشعبيين ، والذى يمد بحثه إلى آفاق بعيدة لم يرها المدنيون من قبل ، وأعنى بها تاريخ الجاهلية ، وتاريخ النبوات قبل محمد عليه الصلاة والسلام ، وتاريخ الخلفاء بعده . فمحمد بن إسحاق هو المؤرخ الذى تتمثل فيه كل التيارات التاريخية الموجودة فى عصره .

وتمتاز الحركة التاريخية العربية بعدة ظواهر ، نحاول أن نسجل بعضها هنا غير ما ناقشناه من قبل . وأول هذه الظواهر أن المؤرخين لم يكونوا موظفين حكوميين ، وإنما كانوا أناسا عنوا بالتاريخ لمجرد الرغبة الشخصية ، وحباً فى ذلك العلم . ولذلك نجدهم يؤلفون ما يحلولهم من كتب ، وعما يحلو لهم من حوادث ، دون أن تصدر إليهم الأوامر بتناول أمر من الأمور ، وترك آخر ، إلا فى أحوال نادرة كان يلتمس الحكام فيها من المؤرخ معالجة بعض الأمور التى تلذ لهم . وضمن لهم ذلك حرية الآراء ، وصدق التناول ، والنزاهة فى معالجة الأحداث ، وخاصة أن أكثر هؤلاء المؤرخين كانوا رجال فقه وحديث .

وهاك مثالا يبين مقدار استقلال هؤلاء المؤرخين ، وشجاعتهم فى الثبات

على آرائهم ، وعلى ما يعتقدونه صدقا . روى الشافعى عن عمه قال[١] : دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك ، فقال : من الذى تولى كبره منهم ؟ يشير إلى الآية فى حديث الإفك ، قال : عبد الله بن أبى بن سلول ، فقال : كذبت ، هو على ، يابن شهاب ، من هو ؟ ، قال : عبد الله بن أبى ، فقال : كذبت ، هو على ، قال : أنا أكذب ، لا أبا لك ، فو الله لو نادانى مناد من السماء : إن الله أحل الكذب ما كذبت . حدثنى سعيد بن المسيب ، وعروة ، وعبيدالله ، وعلقمة بن وقاص ، عن عائشة : إن الذى تولى كبره عبد الله بن أبى . قال : فلم يزل القوم يغرون به ، فقال له هشام : ارحل ، فو الله ماينبغى لنا أن نحمل عن مثلك ، قال : ولم ؟ أنا اغتصبتك على نفسى أو أنت اغتصبتنى ؟ خل عنى ، قال : لا ، ولكنك استدنت ألف ألف ، فقال : قد علمت ، وأبوك قبلك ، إنى ما استدنت هذا المال عليك ولا على أبيك .

وكان هؤلاء المؤرخون علماء يدرسون تلاميذ من الشعب ، ويؤلفون كتبهم لهؤلاء التلاميذ ، وللشعب أيضا ، غير معتمدين على الخلفاء فى الغالب ، إلا عند الشدائد .

والظاهرة الأخرى هى صحة الأخبار العربية عن الحوادث الإسلامية خاصة ، وقد أتتهم هذه الصحة من الطريقة التى عالجوا بها هذه الأخبار ، فهم لم يأخذوا إلا عن العدول الثقات ، واتبعوا فى ذلك ما اتبعه علماء الحديث فى نقدهم ، فسلمت لهم مجموعة كبيرة من الحوادث . وأتت هذه الصحة أيضاً

---

(١) الذهبى : تراجم رجال روى عنهم محمد بن إسحاق ٥٧٢

من ابتكارهم التوقيت الكامل ، حتى كانوا يوقتون الحوادث بالأيام والشهور والأعوام . وذلك مما يدعو إلى التدقيق فى الأخبار وصحتها . حقا إن هذا التوقيت بدأ ضعيفا مضطربا ، ولكن الروايات المختلفة من المصادر المتباينة جعلتهم يطمئنون إلى بعض التواريخ ، ويستطيعون أن يتحققوا من صحتها .

ولكن هذه الروايات الكثيرة التى كانت تعتمد غالبا على الذاكرة سببت بعض وجوه من النقص والفوضى . فإن النسيان اعترى بعض هؤلاء المؤرخين فجعل بعض رواياتهم يضطرب ، ويسوده الفوضى . ولكن على الرغم من هذا يجب أن نقول إن تلك الظاهرة كانت نادرة ، وكان المؤرخون يكتشفونها سريعا بفضل الروايات الأخرى الآتية من مصادر مخالفة للأولى .

وأدت العناية بالروايات المختلفة والأسانيد المتنوعة إلى التكرار إلى درجة الإملال ، فالحادث الواحد يوصف عدة مرات ، دون أى زيادة أو تفصيل ، على حسب الأسانيد المختلفة التى روته . ولكن هذه الظاهرة ـ فيما يبدو ـ كانت سائدة فى الكتب الكبيرة وحدها . أما الرسائل الصغيرة فيبدو أنها نجت من هذه الظاهرة ، كما يبدو من سيرة سليمان بن طرخان .

وجعلهم تأثرهم بالأحاديث يصبون كل نقدهم على الأسانيد دون النصوص مما يسر الانتحال والاختراع ، فإن الإسناد يمكن اختراعه بسهولة . وهكذا يمكن القول بدخول بعض الموضوعات فى الميدان التاريخى ، وإن كانت هذه الظاهرة يجب النظر إليها على أنها ضعيفة نادرة بسبب نقدهم الشديد للرجال . ولكن لم يكن هذا النقد ذا فائدة كبيرة فى ميدان التاريخ القبلى والقصص والإسرائيليات .

وآخر الأمر نجد التاريخ الإسلامى بجميع صوره يسير على النمط المعروف

عن الرواة الجاهليين ، من سوق القصة التاريخية ، وتقطيعها بالأشعار التى قد تشرح شيئا من الحوادث أو تعلق عليها ، أو لا تتصل بها إلا اتصالا طفيفا وكذلك يعنون بسرد الرسائل والوثائق منذ أوائل عهدهم بالتاريخ .

وإذا ما أحببنا أن نتكلم عن أسلوب الكتب عامة ، وجدناه عربيا سهلا بسيطا مبينا ، ونجد تصوير الحوادث فيه وضوح وقوة وحياة ، حتى ليشعر المرء بالحوادث تقع أمامه ، لولا تقطع القصة بالأشعار والتكرار .

ولنختم كلامنا عن الكتابة التاريخية ، بذكر المدارس التاريخية التى ربما شعر بها القارئ من قبل . فإننا عند تدقيق النظر فى تطور الحركة التاريخية نجد أن هناك ثلاث مدارس واضحة كل الوضوح .

١ - المدرسة الأولى فى الظهور هى المدرسة اليمنية التى يمثلها ابن شرية ، ووهب ابن منبه . وهى المدرسة التى تظهر فيها الكتابة التاريخية العربية للمرة الأولى وهى تعنى بأخبار أهل الكتاب ، وتاريخ اليمن . وترد التاريخ قصصا خيالية وأساطير شعبية . فهى تمثل استمرار التيار الجاهلى أصدق تمثيل ، ولذلك نستطيع أن نطلق على مؤرخيها اسم القصاص الشعبيين ، أو الإخباريين * وعلى كتاباتهم اسم الروايات التاريخية .

٢ - والمدرسة الثانية مدرسة المدينة ، وهى تتألف من الفقهاء والمحدثين من أمثال أبان وعروة والزهرى . وهى مدرسة التاريخ العلمى الدقيق الذى يعنى بالسيرة والمغازى ، ويسير على خطى علم الحديث ، ويعنى بالأسانيد ، وتتطور مادة هذه المدرسة ، فتتسع وتشمل تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين .

٣ - أما المدرسة الثالثة والأخيرة فى الوجود فمدرسة العراق ، التى يمثلها عوانة وأبو مخنف فيما بعد والكلبى وغيرهم . وهذه المدرسة واسعة الصدر تعنى بكل

تيارات التاريخ الجاهلى والإسلامى . وتعطى عناية خاصة لتاريخ الخلفاء ، وكان من أثر عنايتهم تلك أن احتل العراق المركز الأول فى هذه التواريخ ، ولذلك نجد تاريخ العراق وأحداثه مفصلة مطولة لدينا ، بينما الأمصار الأخرى لا تنال غير الإشارات .

ثم نجد هذه المدارس الثلاث تلتقى فتخرج لنا محمد بن إسحاق فيتناول هذا المؤرخ تاريخ اليمن وأهل الكتاب مثل اليمنيين ، ويتناول السيرة مثل المدنيين ، وتاريخ الخلفاء مثل العراقيين . بل نجد عنده خصائص المدارس الثلاث ، من قصص شعبية ، وأسانيد ، وأشعار ، لتحلية القصص ، ومن أخبار أهل الكتاب ، وبالاختصار جميع مافى المدارس الثلاث يوجد عند محمد ابن إسحاق .

المراجع

١ — يوسف هوروفتس : المغازى الأولى ومؤلفوها ، ترجمة المؤلف .

٢ — دائرة المعارف الإسلامية ، موادتاريخ ، وسيرة ، وأسماءالمؤرخين.

٣ — ابن حجر : تهذيب التهذيب ، طبع الهند .

٤ — الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، طبع ليدن .

٥ — ابن سعد : الطبقات الكبير ، تحقيق سخاو .

٦ — ابن النديم : الفهرست ، طبع أوربا .

٧ — الذهبي : تراجم رجال روى عنهم محمد بن إسحاق ، تحقيق فيشر .

٨ — ياقوت : معجم الأدباء ، وتحقيق مرجليوت .

٩ — الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، طبعة الخانجى .

١٠ — مرجليوث : محاضرات عن التاريخ العربى :
Morgoliouth Lectures On Arabic History

١١ — عبدالحميدالعبادى : علم التاريخ ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر.

فهرس